المسيح (عليه الصلاة والسلام)
في القرآن

أسامه كامل أبو شقرا

المسيح (عليه الصلاة والسلام) في القرآن

الطبعة الأولى
1425 - 2004
منقحة ومعدلة في
1443 - 2022

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكل الطرق والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والكومبيوتر وغيرها إلا بإذن خطي من المؤلف:

أسامه كامل أبو شقرا

بيروت لبنان
E-mail: clc74oac@gmail.com

ISBN 978-9953-0-0363-7

بسم الله الرحمن الرحيم

...ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى...

صدق الله العظيم

(المائدة 82)

أعمال سابقة للمؤلف

دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم - الطبعة الأولى - بيروت - 2001.

أصول تطبيق قانون الضريبة على القيمة المضافة - الطبعة الأولى - بيروت - 2002. الطبعة الثانية - بيروت 2004.

المسيح (عليه الصلاة والسلام) في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت 2004.

وترجم إلى الفرنسية في العام 2013 بعنوان:

Jésus - Christ et la Vierge Marie dans le Coran - 1ère édition - Beyrouth - 2013

الاقتصاد في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت - 2007.

أعمال غير منشورة في كتاب لعارف أبو شقرا - تحقيق - الطبعة الأولى - بيروت - 2011.

حنينُ الحُبِّ - الطبعة الأولى - 2016 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

عودة إلى أسباب أحداث القرن التاسع عشر في جبل لبنان - 2017 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

الجهاد في القرآن، لا قتال بعد وفاة النبيّ ﷺ – 2018 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

أحاديث الرسول ﷺ بين الصحيح والمنحول - 2021 - دار يافا العلمية للنشر والتوزيع – عمان الأردن. ودار الدندشي للطباعة والتوزيع – مونتريال – كندا.

حوار شيخين في الإسلام - 2021 - دار يافا العلمية للنشر والتوزيع – عمان الأردن. ودار الدندشي للطباعة والتوزيع – مونتريال – كندا.

المحتويات

الإهداء 9
المقدمة 11
توطئة: الإيمان بالأنبياء والرسل 21
نصوص الآيات 25
الفصل الأول: مريم (عليها السلام) 37
الفصل الثاني: حياة عيسى (عليه الصلاة والسلام) 51
الفصل الثالث: ألقاب وصفات المسيح (عليه الصلاة والسلام) 69
الفصل الرابع: المسيح ((عليه الصلاة والسلام) آية للناس 89
الفصل الخامس: معجزات المسيح (عليه الصلاة والسلام) 95
الفصل السادس: ما خصه به من دون سائر الأنبياء والمرسلين (عليه الصلاة والسلام) 109
الفصل السابع: ما نفاه القرآن عن المسيح (عليه الصلاة والسلام) 123
الفصل الثامن: تعاليم المسيح (عليه الصلاة والسلام) 139
المراجع 145

إهداء

إلى كل من أسلم لله بالإنجيل أو بالقرآن،

وإلى كل من يؤمن أن حوار الحضارات يؤدي إلى ولادة حضارة جديدة متكاملة،

وإلى كل من يعتقد حقًا بأن الأوطان لا تفرّقها الأديان إذا كان معتنقوها مؤمنين بحق في ما أنزل الله، تعالى، في كتبه ومتّبعين تعاليمه فيها بصدق تام ومعرفة حقيقية،

وإلى جميع أبناء وطني،

اهدي هذا الكتاب

أسامه كامل أبو شقرا

المقدمة

في 11 أيلول (سبتمبر) 2001 اجتاحت الولاياتِ المتحدةَ الأميركيةَ سلسلةٌ من التفجيراتِ أودت بحياة نحو ثلاثة آلاف شخصٍ. وعلى الرغم من أنّ أحدًا، وقتها، لم يعلن مسؤوليته عن تلك الهجمات، فقد أعلنت أجهزة السلطة هناك، وقبل بدء التحقيق، أن أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ومن ورائهما حكومة الطالبان في أفغانستان، يتحملون مسؤولية تلك الهجمات، وبدأ التحضير للهجوم على أفغانستان وعلى ما سمّاه، رئيس الولايات المتحدة الأميركية، «الإرهاب»، غامزًا، أحيانًا من قناة الإسلام و«الإرهابيين المسلمين»، وأحيانًا من قناة العرب أجمعين.

وفي الوقت عينه أخذ ابن لادن يهاجم الولايات المتحدة الأميركية، مطلقًا التهديد والوعيد بحق من أسماهم «بالكفّار» محرضًا المسلمين والعرب على محاربة هؤلاء «الشياطين». وكان يُضمِّن، دومًا بياناته، آياتٍ من القرآن الكريم. وفي أحد تلك البيانات، راح يحض المسلمين على مقاطعة المسيحيين وعدم موالاتهم[1] مستشهدًا بالآية الكريمة التي تقول: **{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ}** (المائدة 51). هذا البيان أثار لدى كثيرين ممن سمعوه أو قرأوه، شعورًا بالتعجب أو السخط أو الاستياء، وقد يكون وصل لدى بعضهم إلى حد

[1] الموالاة: التحالف.

توجيه التّهم إلى القرآن الكريم، منها تهمة زرع بذور البغضاء والعداوة في صدور المسلمين تجاه المسيحيين، أو تهمة التناقض في آياته، إذ كيف تقول الآية (51) من سورة المائدة: **{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰٓ أَوْلِيَآءَ...}** ثم تقول الآية 82 من السورة نفسها **{...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَارَىٰ...}؟**

إن معظم إخواني المسيحيين، الذين انتابهم أيٌّ من تلك الأفكار أو الشُّعور لدى اطلاعهم على بيان أسامة بن لادن المذكور، وبالتحديد تلك الآية التي استشهد بها، معذورون لأنهم من المفترض ألّا يكون لديهم معرفة، ولو جزئية، بالقرآن الكريم. أما إخواني المسلمين فقد أجد عذرًا لمن ليس لديه اطلاع على القرآن الكريم، على رغم أن ذلك يعتبر تقصيرًا في واجبه الديني.

إن غالبية الموضوعات التي جاءت في القرآن الكريم، قد بيّنتها آيتان أو ثلاث من آياته أو أكثر، منها ما بيَّنَ أسُس ذلك الموضوع، ومنها ما كان لإيضاحه أو لتفصيله؛ فلذا يكون من الواجب، على كلّ من أراد الاستشهاد بما قاله القرآن الكريم في موضوع معين، أن يُدلي، أقلًا، بالآيات الأساسية، ولا يقتصر، فقط، على ما من شأنه عدم بيان أساس ما أراد الله أن يُبيّنه لنا. وكما أن الجهل أفضل من العلم الناقص، فكذلك يكون الصمت أفضل من النطق بجزء من العبارات التي تخص موضوعًا معينًا حيث لا يكون هذا الجزء كافيًا لإيضاح المقصود. فإذا اكتفينا، مثلًا، بالنطق

بعبارة «لا إله» فقط فنكون قد نطقنا بالكفر البيّن، أما إذا أتبعناها بعبارة «إلا الله» فنكون قد نطقنا بالإيمان البيّن.

وموضوع «اتخاذ الأولياء من أهل الكتاب» وضع القرآن الكريم أسسه ليس فقط في الآية التي ذكرها ابن لادن، بل هناك أيضًا آيتان أخريان أرى أنّ واجبه الديني كمسلم، والأمانة العلمية، كانا يقضيان بأن يقرأهما، مباشرة، بعد تلك الآية وهما: **{لاَّ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوۤاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ* (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ *(9)}** (سورة الممتحنة).

أما لماذا اقتصر ابن لادن، في بيانه ذاك، على ذكر الآية (51 من سورة المائدة)، فقط، من دون الآيتين، (8 و9 من سورة الممتحنة)، اللتين تحددان الحالة التي ينهى فيها الله تعالى عن «اتخاذ الأولياء من أهل الكتاب»؟ فهذا أمرٌ يدعو إلى وضع الكثير من علامات الاستفهام، لأن أسامة بن لادن، كما قرأت وسمعت عنه، لديه معرفة جيدة بالقرآن الكريم، واطلاع واسع عليه، وبالتالي ليس له العذر، بسبب الجهل أو عدم الاطلاع على كتاب الله.

ولكنني أرى أن أسامة بن لادن قد ارتكب هنا الخطايا التاليات:

أول هذه الخطايا «كتم الحق» الذي ينهى الله تعالى عنه. وقد ذكَّرنا به في عدد من الآيات البيّنات، نذكر منها

الآيتين التاليتين: {**وَلاَ تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** *} (البقرة 42)

{**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ أُولَـٰئِكَ يَلعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللاَّعِنُونَ** *}. (البقرة 159)

والخطيئة الثانية، هي «أذية الله، تعالى، ورسوله محمد ﷺ» إذ إني أراه قد شوّه كلام الله، عز وجل، بالاجتزاء، مما جعل بعض الناس يتطاولون بالكلام غير اللائق، ليس فقط، بحق النبي ﷺ بل وبحق الدين الإسلامي الذي نزَّله الله تعالى هدىً للناس. وتقول الآية الكريمة في ذلك: {**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**} (الأحزاب 57.)

أما الخطيئة الثالثة، فهي «أذية المؤمنين». فبذلك الكلام المجتزأ جعل ابن لادن كثيرًا من الناس ومن المسؤولين في البلاد الغربية، وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية، يتذرعون بكلامه ليزيدوا من التضييق على المسلمين المقيمين في تلك البلاد، بل وليعتدوا عليهم أحيانًا. وفي ذلك تقول الآية الكريمة: {**وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**} (الأحزاب 58).

فبسبب ما تقدم، رأيت من واجبي أن أساهم، وضمن إمكانياتي المتواضعة، في أن أوضح لإخواني المسيحيين خاصة، نظرة الدين الإسلامي إلى الدين المسيحي، وكجزء

من ذلك رأيت أن ألقي الضوء على ما جاء في القرآن الكريم عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، فكان أن وضَعتُ هذا الكتاب.

وأنا أعلم أنّي لست أول من بحث في موضوع ما جاء في القرآن الكريم عن السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ولن أكون الأخير بالتأكيد. فالقرآن الكريم الذي نُزِّل على النبي محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، لم ينزَّل فقط لتلك المجموعة من الناس التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية أيام بعثة النبي محمد ﷺ، كما يظن بعضهم، بل نّزِّل للناس كافة، في أي زمان ومكان، **{وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}**. (سبأ 28)، لذلك أرى أن أي دراسة في القرآن الكريم يجب أن ترتكز على معطيات العصر أو الحقبة من الزمن التي تتم فيها تلك الدراسة، وخاصة في أيامنا الحاضرة التي تشهد هذه السرعة في الاكتشافات العلمية والتقنية. ولكن هذا المنحى لا يجوز له، قطعًا، أن يؤدي إلى المساس بالأسس والفرائض.

إني لا أقول هنا، إن نظرة القرآن الكريم، تجاه الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) عامة أو المسيح (عليه الصلاة والسلام) خاصة، قد تتغير مع تغير الأزمان، فالأساس والجوهر لا يتغيران، إنما هناك بعض التفاصيل أو القَصص أو الأمثلة، التي تشكل جُزءًا من إعجاز هذا الكتاب، قد يتغير فهمنا لها مع تطور الفكر الإنساني، فعيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام) يعتبره القرآن، منذ نزَّله الله تعالى على النبي محمد ﷺ وحتى يومنا

هذا وإلى أبد الآبدين، رسولًا ونبيًا وُلِدَ من أمٍّ بتول حملته بإرادة الله، عزّ وجل، من دون أب. ولكن إذا عدنا إلى تفاسير القرآن الكريم التي وضعت على مَرِّ العصور لوجدنا ذلك الاختلاف، مثلًا، في تحديد فترة الحمل الزمنية، إذ لم يتفق المفسرون، حسب كتب التفسير، على إن كانت، تلك الفترة، قد امتدت إلى أشهرٍ أم اقتصرت على أيامٍ أو ساعات معدودات أو حتى ساعة واحدة؟

أضف إلى ذلك أنّ الكتب التي وضعت منذ أكثر من مائة عام، مثلًا، أو أحيانًا أقل، قد يحتاج بعضها أو بعض مقاطعها أو حتى بعض مفرداتها، إلى الكثير أو القليل من التفسير؛ فبحكم تغير الأزمنة أو الأمكنة، قد يقل أو حتى ينعدم تداول القليل أو الكثير من المفردات، فتصبح بالتالي الكلمة التي كانت مستعملة منذ مائة أو حتى خمسين عامًا، غريبةً علينا في يومنا هذا. وهنا أروي قصة قصيرة معبرة ومؤكِدة لما أوردته. لقد ضمني يومًا مجلس وبعض الأصدقاء، ولم يكن يجاوز عددنا، على ما أذكر، الستة وكانت أعمارنا يومها تراوح بين الأربعين والخمسة والخمسين عامًا، وكنت أكبرهم سنًا، وعلى رُغم أنّ مجالس هذه الأيام، وبخاصة بعد هذا الكَمِّ الهائل من محطات التلفزة الفضائية، أصبحت الأحاديث التي تتناول موضوعات ذات قيمة، قليلةً فيها إن لم نقل نادرة، فقد كانت تلك الجلسة من هذه الجلسات القليلة إذ تشعب فيها البحث إلى موضوعات قيمة عدة. وأذكر أنّي تطرقت في حديثي إلى البرامج المدرسية الحالية وكيف أن معظم طلاّب المدارس

والجامعات يجهلون قواعد علم الصرف في اللغة العربية، وأسهبت قليلًا في شرح فوائد تعلُّم تلك القواعد. ولشدة ما فاجأني أن أحد الحاضرين سألني: ما هو علم الصرف هذا الذي تمتدحه؟ ثم ثنَّى آخر فثالث على تساؤله؛ والثلاثة كانوا من حملة الشهادات الجامعية.

فإذا كان الفارق الزمنيّ الذي لا يتعدى عقدًا من السنين، جعل أحد علوم اللغة يختفي بين أوراق الكتب القديمة، فكيف يكون الحال بالنسبة لمفردات لم تعد تستعمل نظرًا للتغير الدائم في نمط حياة الناس الناجم عن تغير وسائل المعيشة؛ فمنذ أن حلت الأسلحة النارية الحديثة، مثلًا، محل السيف والرمح، لم نعد نسمع أو نقرأ تلك الأسماء أو الأوصاف التي كانت تطلق في الماضي على أنواعهما أو أشكالهما، كذلك الحال بالنسبة لأوصاف وأسماء الحصان والجمل التي نسيناها منذ أن حلت وسائل النقل الحديثة محلهما.

ولا ننسى أيضًا تلك الكتب التي تطبع مرة واحدة أو مرتين ثم تضيع في عالم النسيان لأي سبب من الأسباب.

إلى جانب ما تقدم، فقد ألح عليَّ أمرٌ آخر جعلني أقتنع بوجوب وضع هذا الكتاب؛ إذ كنت يومًا في لقاء محبّة مع إخوان أُجِلُّهم وأحترمُهم، وقد كان أكثرهم ممن يعتنقون الدين المسيحي على مختلف مذاهبه، وكان الحديث قد تشعب، إلى أن سمعت أحدهم يقول: «إن المسلمين يقولون إن إلهنا هو غير إلههم حسب الآية التي تقول: (لا نعبد ما تعبدون).» فكان ذلك، بالنسبة لي، مفاجأة كبيرة، لأن ذلك

الشخص بالتحديد، كنت ولم أزل أكنّ له محبّة وتقديرًا خاصَّين، وكنت أعتقده من واسعي الاطلاع؛ فتلوت على مسمعه نص سورة (الكافرون رقم 109): { **قُلْ يٰأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ*}** فصحَّحَت له أولًا نص الآية التي استشهد بها ثم شرحت له أن المقصود في تلك السورة، هم الكافرون الذين لا يعبدون الله ولا يؤمنون بإله واحد، أما المسيحيون فهم، كالمسلمين، من أهل الكتاب وأنّ الله، سبحانه وتعالى، قد أكد في كتابه الكريم أن على المسلم، كي يكون إيمانه سليمًا، أن يُؤمن بالأنبياء والرسل أجمعين، ومنهم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وأن يُؤمن أيضًا، بالكتب التي أنزلت قبل القرآن الكريم، ومنها الإنجيل. ولا ننسى ما قالته الآية 46 من سورة العنكبوت، في أن الإله الذي يعبده المسلمون والمسيحيون واليهود هو واحد: {...وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}. ولما رأيت على وجهه إمارات التعجب، طلبت منه أن يصدقني القول عمّا وراء كلامه ذاك، فقال: «إن المسلمين يقولون بأننا نحن أيضًا من الكفار.» فقلت له: كيف ذلك والله، تعالى، يقول في محكم كتابه الكريم: {**إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ*** }. (البقرة 62).

وبعدما أوضحت لصديقي هذا أنّه، هو ومن أدخل في ذهنه تلك القناعة، كانا على خطأ، أخذت على نفسي عهدًا في أن أحاول، ضمن إمكانياتي، تصحيح تلك الصورة المطبوعة في مخيلة كثير من الناس، عن نصوص الآيات الكريمات. فكانت فكرة هذا الكتاب.

وبعدما انتهيت من طباعة كتابي الأول «دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم» بدأت بوضع هذا الكتاب، معتمدًا فيه على ما جاء في نصوص آيات القرآن الكريم، عن السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من دون سواها، حتى ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة الموثوقة. كما أني لم أتطرق إلى أيّ مقارنة لنصوص آيات القرآن الكريم مع أي من مصادر أو كتب دينية أخرى، بما فيها كتب الدين المسيحي. وجل ما استعنت به هو ما تيسر لي من كتب التفسير ومعاجم اللغة كي أبلغَ فهمًا مقنعًا لنصوص تلك الآيات، يُمكّنني من أن أوضح للقارئ الكريم، ما أردت قوله بشكل سليم ومفهوم. وما توفيقي إلاَّ بالله العلي القدير.

ولا بد لي من أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى المنهاج الذي اتبعته في هذا الكتاب، فقد بدأته بتوطئة بينت فيها واجب المسلم بالإيمان بالأنبياء والرسل ومنهم السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام). ثم خصصت فصلًا أدرجت فيه نصوص الآيات التي خصها القرآن الكريم بالسيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وهذا لا يعني أنني لم أستشهد بآياتٍ أخرى، أدرجت نصوصها في أمكنة الاستشهاد بها. وكان من الضروري

بالتأكيد أن أُخصِّص **الفصل الأول** للسيدة مريمَ العذراء **(عليها السلام)**. ثم أتبعت به، سبعة فصول خاصة بالسيد المسيح **(عليه الصلاة والسلام)**. وهي:

الفصل الثاني: حياة المسيح **(عليه الصلاة والسلام)**.

الفصل الثالث: ألقاب وصفات المسيح **(عليه الصلاة والسلام)**.

الفصل الرابع: المسيح **(عليه الصلاة والسلام)** آية للناس.

الفصل الخامس: معجزات المسيح **(عليه الصلاة والسلام)**

الفصل السادس: ما خصّ الله تعالى به المسيح **(عليه الصلاة والسلام)** من دون سائر الأنبياء والمرسلين **(عليهم الصلاة والسلام)**

الفصل السابع: ما نفاه القرآن عن المسيح **(عليه الصلاة والسلام)** **الفصل الثامن**: تعاليم المسيح **(عليه الصلاة والسلام)** كما جاءت في القرآن الكريم.

يبقى أن أقول، لكلّ من يرى أيّ تباينٍ بين رأيه ومعتقداته، وما جاء في هذا الكتاب «إن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

بيروت في حزيران (يونيو) 2004

أسامه كامل أبو شقرا

توطئة
الإيمان بالأنبياء والرسل

كل مسلم، وكل من أراد اعتناق الدين الإسلامي، يتوجب عليه أن يؤمن بمعتقدات رئيسية، يطلق عليها تسمية، أركان الإيمان. هذه الأركان قد بيّنها الله تعالى في محكم كتابه الكريم: بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب (المنزلة) والأنبياء والمرسلين، وذلك في آيات عديدة نذكر منها:

{... وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلآئِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ...} (البقرة 177)،

{... وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا *} (النساء 136)،

أما الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم فهم خمسة وعشرون نبيًا، أولهم آدم (عليه الصلاة والسلام) وآخرهم محمد ﷺ، مرورًا بإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم الصلاة والسلام). وقد عددهم في الآيات التاليات:

{إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ *} (آل عمران 33)

{قُلْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (آل عمران 84)

{إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ

وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا} (النساء 163)

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ آتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *(83) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ* (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * (85) وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * (86)} (سورة الأنعام)،

{وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ *} (الأعراف 65)،

{وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ...} (الأعراف 73)،

{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ...} (الأعراف 85)،

{أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا*} (مريم 58)،

{وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّابِرِينَ*} (الأنبياء 85)،

وعلى رغم أن الله، سبحانه وتعالى، فضل بعض الرسل على بعض، ومنهم عيسى (عليه الصلاة والسلام)،

{تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ...} (البقرة 253)، إلا أنه، عز وجل، يؤكد علينا وجوب عدم التفرقة بين رسله:

{لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...} (البقرة 285)

{قُلْ... لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ*} (آل عمران 84)

نصوص الآيات
بسم الله الرحمن الرحيم

من سورة البقرة رقم (2):

- **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ *}** (87).
- **{وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (116)}***
- **{بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** (117)
- **{قُولُوۤاْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ*}** (136)،
- **{لَّيسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلآئِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلاَةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوۤاْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ *}** (177)

- {تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ *} (253)

- {آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ*} (285)

من سورة آل عِمران رقم (3):

- {إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * **(33)** ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ **(34)** إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ* (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنْثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ* (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يٰمَرْيَمُ

أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ* (37) فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ* (39) وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَالَمِينَ* **(42)** يٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ* **(43)** ذٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ* **(44)** إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَآئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ* **(45)** وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ* **(46)** قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* **(47)** وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ* **(48)** وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِيۤ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِـي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* **(49)** وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ *

(50) إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ* (51) فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * (52) رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ* (53) وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ* (54) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ* (55) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ* (56) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ* (57) ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ* (58) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (59) ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِّن ٱلْمُمْتَرِينَ* (60)}

- **{قُلْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *}** (84)

من سورة النساء رقم (4):

- **{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا* (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ**

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا* (157) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا* (158) وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا* (159)}

- **{إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا* (163)}**
- **{يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ وما فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا* (171) لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا للَّهِ وَلاَ ٱلْمَلاَئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا* (172)}**

من سورة المائدة رقم (5):

- **{لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعًا وَللَّهِ مُلْكُ**

ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* (17)}

- {وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلإِنْجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ (47)}

- {لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَابَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ* (72) لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* (73) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* (74) مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيّنُ لَهُمُ ٱلآيَاتِ ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ* (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلاَ نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ(76)} قُلْ يَـأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقّ وَلاَ تَتَّبِعُوۤاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ* (77) لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ* {(78)}

- {يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ ٱلْغُيُوبِ * (109) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ* (110) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوۤاْ آمَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * (111) إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ* (112) قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنْكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ* (114) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيۤ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ* (115) وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَءَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ

قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ *(116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ* (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ* (118) قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ* (119)}

من سورة الأنعام رقم (6):

- **{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * (85)}**
- **{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * (87) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * (88) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ *(89) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ *(90)}**

من سورة التوبة رقم (9):

- **{وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ* (30) ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَـٰرَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ *(31)}**

من سورة مريم رقم (19):

- **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًا * (16) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَآ رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا * (17) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًا * (18) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لَأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًا * (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًا * (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًا * (21) فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًا * (22) فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًا * (23) فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا * (24) وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًا * (25) فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًا * (26) فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًا * (27) يَٰأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ**

ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًا * (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًا * (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًا * (31) وَبَرًا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًا * (32) وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًا * (33) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتُرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (35) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * (36) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ *(37)}

من سورة الأنبياء رقم 21:

- **{وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ* (91)}**

من سورة المؤمنون رقم (23):

- **{وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ * (50)}**

من سورة الأحزاب رقم (33):

- **{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا *(7) لِّيَسْأَلَ ٱلصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا *(8)}**

من سورة الشورى رقم (42):

- **{شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ *(13)}**

من سورة الزخرف رقم (43):

- **{وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * (57) وَقَالُوٓاْ أَءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * (58) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * (59) وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * (61) وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ *(62)) وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * (63) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * (64) فَٱخْتَلَفَ ٱلأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ * (65)}**

من سورة الحديد رقم)57):

- **{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**

إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ *(27)}

من سورة الصف رقم (61):

- **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ *(6)}**
- **{يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنَصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّن بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ * (14)}**

من سورة التحريم رقم 66:

- **{وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ * (12)}**

الفصلُ الأول
مريم (عليها السلام)

إن قصة ميلاد وحياة السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لا تنفصم عن سيرة حياة أمه، مريم (عليها السلام). ولذا رأيت من الضروري أن أبدأ بحثي هذا بفصل خاص بها، يشمل قصة مولدها وحياتها في الهيكل، ويبين صفاتها ومنزلتها بين نساء العالمين، ومن ثم حملها لكلمة من الله تعالى، ابنها، عيسى (عليه الصلاة والسلام).

مولدها

لمّا أراد الله، سبحانه وتعالى، أن يخْلُقَ المسيحَ (عليه الصلاة والسلام)، أراد له أن يُولدَ من أُمٍ ليست كباقي الأمّهات. لذلك لم يكن من قبيل الصُدفة أن تقول، **{ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ** (أم مريم) (عليها السلام) **رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنت ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * }** (آل عمران35).

جاء في تفسير ابن كثير بأن «اسمها (أي امرأة عِمران) كان حنّة ابنة فاقوذ وكانت لا تحمل فرأت يومًا طائرًا يزق فرخه، فاشتهت الولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولدًا... فاستجاب دعاءها، ولما تحققت الحمل نذرت أن يكون ولدها مفرّغًا للعبادة ولخدمة بيت المقدس.» وقد كانت تتمنى أن يكون مولودها ذكرًا لذلك قالت «محررًا»، لأنّ مثل هذا النذر كان مقتصَرًا على الذكور من الأولاد من دون

الإناث؛ و«محررًا» هنا تعني عتيقا مفرغًا لعبادة الله وخدمة بيت المقدس.

وفي تفسير البيضاوي نقرأ «أنها كانت عاقرًا عجوزًا،». وجاء في تفسير الكشاف للخوارزمي: «روي أنها (أي امرأة عمران) كانت عاقرًا لم تلد إلى أن عجزت، فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخًا له فتحركت نفسها للولد وتمنته...»

إذًا كانت حنَّة، وقد أسنَّت، تعرف أنها كانت عاقرًا، بدليل أنها لم تلد قبلًا، كما كانت تعلم أن الحمل للعجوز، حتى لو لم تكن عاقرًا، يصبح أمرًا من الصعب جدًا حدوثه. فما الذي جعلها إذًا تدعو الله، على رغم تقدمها في السن، ليهبها ولدًا ثم تنذره لعبادته تعالى وتطلب تقبُّل نذرها؟ لو لم يكن ذلك أمر الله عزَّ وجلّ، ليُتمّ إرادته في تهيئة أمٍّ تكون جديرةً بحمل «كلمة منه» فيما بعد؟

ويموت عِمران، زوجها، وهي لم تزل حاملًا، ثم تضع حنّة مولودها فإذا به أنثى فتقول {...**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنْثَىٰ** ...} (آل عمران 36)؛ وكأنها هنا تتحسر لكون مولودها أنثى خوفًا من ألاّ تستطيع أن تفيَ نذرها، لأنّ خدمة الهيكل كانت تقتصر على الذكور، وبالتالي قد يرفض الأحبار السماح لابنتها بخدمة الهيكل. ولكنها لم تتراجع عن نذرها وأطلقت على ابنتها اسم «مريم» ومعناه في لغتهم، العابدة.

إلاّ أن قوله تعالى: {...**وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**...} (آل عمران 36) هو تأكيد على تمام إرادته بخلق مريم (عليها

السلام) كما أرادها هو، فلو كان المقصود بأن الله يعلم، فقط، أنّ ما وضعت كان أنثى لقالت الآية: «والله يعلم ما وضعت» ولكن قوله **{وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ}** تأكيدٌ بأنه، تعالى، أعلم بكل دقائق وتفاصيل تكوينها وحياتها وما سيكون لها من شأن ومهام. فلو مررت مثلًا، بالقرب من مبنىً ما ورأيته على هيئة بيت للسكن، لقلت هذا بيت للسكن، إلاّ أنّ المهندس الذي وضع تصميماته وأشرف على بنائه، يمكنه وصف أدق تفاصيله سواء من حيث المحتويات أم من جهة المواد التي بُني منها كما يمكنه تحديد وجهة الاستعمال التي أعد لها، لذلك نقول إنّ هذا المهندس أعلم منك بهذا البيت مهما دققتَ في ملاحظاتك، وبالتالي نقول «إنه أعلم بما بنى».

نشأتها وكفالة زكريا (عليه الصلاة والسلام) لها

وتكمل امرأة عِمرانَ دعاءها قائلةً: **{...وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ}** (آل عمران 36)، فيأتي الجواب: **{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (آل عمران 37). وفي هذا الجواب تأكيد أيضًا على إتمام مشيئته في تحضير، اليتيمة، مريم (عليها السلام)، لأمر عظيم، ولذا كان قبول ربها لها حسنا، **{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...}** أي أنشأها نشأة حسنة لجهة الأخلاق الحسنة والطهارة والعصمة. وهل من مربٍ أفضل من نبيّ من

أنبياء الله الصالحين، يمكن أن تعهد إليه مهمة تنشئة أمٍّ صالحة؟ ولذا **{كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}** من دون غيره من الأحبار، **{... وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ...}** (آل عمران 44). يقول المفسرون إنّ الأحبار تنافسوا في من يكفل مريم (عليها السلام) فقرروا أن يقترعوا فيما بينهم؛ يقول الجلالان في تفسيرهما للآية 37 من سورة آل عمران: «فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها». وكان **{... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (آل عمران 37). وهذا يؤكد رعاية الله، سبحانه، لمريم (عليها السلام) رعاية كاملة، فإلى جانب كفالة النبيّ زكريا (عليه الصلاة والسلام) لها كان ربها يبعث لها بطعامها. ويقول ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء»[1]: « قال المفسرون: اتخذ لها زكريا مكانًا شريفًا من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والشريفة، حتى أنّه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها

1 قصص الأنبياء لابن كثير – الطبعة السابعة 2002 – دار ابن كثير دمشق – بيروت ص. (574)

يجد عندها رزقًا غريبًا في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها: « أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا» فتقول: «هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ» أي رزق رزقنيه الله «إن الله يرزق من يشاء بغير حساب».

طهارتها

{وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ * يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ *} (42-43 آل عمران).

جاء في تفسير البيضاوي لهاتين الآيتين: «كلموها شفاهًا (أي الملائكة) كرامة لها، ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة لزكريا أو إرهاصًا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن الإجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى: **«وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا»**. وقيل ألهموها، والاصطفاء الأول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء. والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفتها به اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين.»

فلماذا هذا الاصطفاء والتطهير والأمر لها بالقنوت والتعبد لربها إن لم يكن تأكيدًا لإرادته تعالى، في أن تكون مريمُ (عليها السلام) أهلًا لأن تصبح أمًا، لكلمة من الله، عيسى، (عليه الصلاة والسلام)؟

عذريتها

عذراء، لغة، «بِكر لم يمسها[1] رجل» (لسان العرب، باب عذر). ولقد أكد القرآن عذرية مريم (عليها السلام) في غير موضع: منها في سورة آل عمران رقم (3)، بقوله: **{إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ... (45)*}** فجاء جوابها أن **{قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ... (47)*}**.

ثم في سورة مريم (رقم 19)، عندما قال لها جبريل (عليه السلام)، **{...إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا (19)}** فأجابته قائلةً: **{... أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20)*}**

ثم في سورة الأنبياء رقم (21) إذ يقول: **{وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ* (91)}**

وفي سورة التحريم رقم (66) **{وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ * (12)}**

عفتها

يقول المعلم بطرس البستاني في (محيط المحيط): «عفّ الرجل يعف عفًا وعفافًا وعفافة وعفة كفّ عما لا يحل ولا يجمل قولًا أو فعلًا وامتنع... والعِفَّة مصدر عفّ وترك الشهوات أي شهوات كل شيء.»

[1] مسّ الرجل الجارية: جامعها.

لقد اتهم بنو إسرائيل مريمَ (عليها السلام) بالزنى، فاعتبر الله ذلك بهتانًا عظيمًا، وقرنه بالكفر في آية واحدة **{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا *}** (النساء 156). والبهتان لغةً، «الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل وبمعنى الظلم». «محيط المحيط».

ويقول الطبري في ذلك، في تفسيره: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: وبكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم وَقَوْلهمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتانا عَظِيما يعني: بفِريتهم عليها، ورَمْيهم إياها بالزنا، وهو البهتان العظيم لأنهم رموها بذلك وهي مما رموها به بغير ثبْت ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول.»

وجاء التأكيد، أيضًا، على عفتها في الآيتين التاليتين:

- **{وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ *}** (الأنبياء 91).
- **{وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ *}**. (التحريم 12)

عصمتها

{... وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ*} (آل عمران 36)

جاء في تفسير البيضاوي: «وعن النبي ﷺ ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل (صارخًا) من مسه إلا مريم وابنها». ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى

عصمهما ببركة هذه الاستعاذة.» وجاء مثل ذلك في تفسير الجلالين وكتاب قصص الأنبياء لابن كثير.

منزلتها (عليها السلام) بين نساء العالمين

{وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ *} (آل عمران 42).

جاء في «القاموس المحيط» للفيروزابادي: «اصطفاه كاستصفاه، أخذ منه صفوه واختاره وعدَّه صفيًا».

فلماذا هذا التكرار لكلمة «اصطفاكِ»؟ وليس في القرآن الكريم كلمة، واحدة، وردت عبثًا أو من دون سبب، ولذا فإني أرى أن كلمة «اصطفاكِ» الأولى تأتي هنا من «أخذ منه صفوه» أي أزال منها كل شائبة ليطهرها. أما كلمة «اصطفاكِ» الثانية فأفهمها بأنه، تعالى، اختارها من دون جميع نساء العالمين.

وهل من منزلة أرفع من منزلة كهذه؟ إذ لم تكتفِ الآية بأن تذكر أن الله، سبحانه، اصطفاها فقط بل أضافت أيضًا، «على نساء العالمين». إن تعدية فعل اصطفى، بحرف الجر «على» هنا تدل على أن الله جعل منزلتها فوق منزلة نساء العالمين كافة.

ومريم (عليها السلام) الوحيدة من النساء التي ذكر اسمها في القرآن الكريم. وهي الوحيدة التي ألقى إليها الله كلمته **{... وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ...}** (النساء 171). وهي الوحيدة التي حملت من دون أن يمسسها رجل. وهي الوحيدة من أمهات الأنبياء والمرسلين التي قُرِنَ اسمُ ابنها باسمها، ففي معظم الآيات نقرأ «عيسى ابن مريم» أو

«المسيح ابن مريم» أو «ابن مريم». وهي الوحيدة من النساء التي أكد القرآن عذريتها وعفتها بوصفه لها ب {... **ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**...} (من الآيتين الأنبياء 91 والتحريم 12). وهي الوحيدة من النساء التي جعلها الله آية. وهي الوحيدة من النساء التي وصفها القرآن بالصِّدِّيقة **{مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**...} (المائدة 75). ولا ننسى أن السورة رقم (19) من سور القرآن الكريم قد سميت باسمها.

مريم (عليها السلام) آية للعالمين

{وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِين*} (الأنبياء 91)

{وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ*} (المؤمنون 50)

جاء في «القاموس المحيط» للفيروزابادي: «الآية، العلامة والعبرة والإمارة ومن القرآن كلام متصل إلى انقطاعه.» وفي كتب التفسير: الآية، «علامة على قدرة الله عز وجل.»

فهي آية في ولادتها من أم، كانت عاقرًا ثم حملتها بعد أن عجزت.

وهي آية في طفولتها وحداثتها، بقوله، تعالى، **{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ *}** (آل عمران 37) وقد سبق وأوضحنا معنى هذه

الآية في أول هذا الفصل في فقرة «نشأتها وكفالة زكريا (عليه الصلاة والسلام) لها».

وهي آية في حملها المسيح (عليه الصلاة والسلام) وهي البتول[1] التي لم يمسسها بشر. كما أكدته الآيتان:

- **{قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ *}** (آل عمران 47).
- **{قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا *}** (مريم 20).

مريم (عليها السلام) صِدّيقة

{مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ...} (المائدة 75)،

{وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ *} (التحريم 12)

صِدّيقة مؤنث صِدّيق والصِدّيق لغة: «الكثير الصدق والدائم التصديق والكامل فيه والذي يصدق القول بالعمل» (محيط المحيط). وفي تفسير الجلالين أن مريم كانت «مبالغة في الصدق».

[1] البَتُول من النساء: العَذْراء المنقطعة من الأَزواج. (لسان العرب)

بشارة الملائكة لها

{إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ*} (آل عمران 45)

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «والتبشير: إخبار المرء بما يسرّه من خبر. وقوله: **{بِكَلِمَةٍ مّنْهُ}** يعني: برسالة من الله، وخبر من عنده، وهو من قول القائل: ألقى فلان إليّ كلمة سرّني بها، بمعنى: أخبرني خبرا فرحت به، كما قال جلّ ثناؤه: **{وَكَلِمَتُهُ أَلْقَـٰهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ}** يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها.»

حملها (عليها السلام) **المسيح** (عليه الصلاة والسلام)

{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًا * (16) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَآ رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا * (17) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًا * (18) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًا* (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًا * (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًا * (21) فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًا * (22)} (مريم)

{وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ*} (الأنبياء رقم 91)

{وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ *} (التحريم 12)

تبين هذه الآيات كيف تم حملها السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام) بأمر من الله، عز وجل، فتقول إن مريم (عليها السلام) اعتزلت ديار أهلها، لجهة الشرق، حيث قصدت مكانًا احتجبت فيه عن أنظارهم، فلا يرونها؛ فأرسل الله تعالى، إليها ملاكا بصورة بشر، هو، جبريل، حسب كتب التفسير؛ فقالت له **{إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا*}** ، فهدأ من روعها قائلًا **{إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا *}** والغلام الزكيّ: «هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب: غلام زاكٍ وزكيّ، وعال وعليّ.» (تفسير الطبري) فتعجبت كيف يكون لها ولد وهي التي لم يقربها الرجال سواء بالحلال أو بالحرام **{لَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا}** (مريم 20)؛ فأجابها أن تلك هي مشيئة الله وأنّ ذلك عليه هيّنٌ، وليكون هذا الحمل والولادة والمولود علامةً للناس على قدرته، عز وجل، وليكون، الغلام أيضًا، رحمةً لهم. فتم الحمل بأمره، تعالى.

أما كيف تم الحمل؟

- فتقول الآية (91 الأنبياء): **{وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ*}**
- والآية (12 التحريم): **{وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا.}**

يقول الطبري في تفسير الآية (91 الأنبياء): «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران. ويعني بقوله: أَحْصَنَتْ: حفظت، ومنعت فرجها مما حرّم الله عليها إباحته فيه.

واختُلف في الفرج الذي عنى الله جلّ ثناؤه أنها أحصنته، فقال بعضهم: عَنَى بذلك فَرْجَ نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

وقال آخرون: عَنَى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها وقبل أن تثبته معرفة. قالوا: والذي يدلّ على ذلك قوله: فَنَفَخْنا فِيها ويعقب ذلك قوله: والَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها قالوا: وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام: والتي أحصنت جيبها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه والأظهر في ظاهر الكلام. فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا يقول: فنفخنا في جيب درعها من روحنا.»

وقد جاء ما يماثل قول الطبري هذا في معظم كتب التفسير ومنها تفسير الجلالين والبيضاوي. أي أن جميعهم يؤكدون أن الحمل تم بالنفخ في جيب درع مريم (عليها السلام). ودرع المرأة: قميصها. وهكذا تم حملها للمسيح (عليه الصلاة والسلام) من دون أب، ولهذا سمي: «الحبل بلا دنس».

الفصل الثاني
حياة السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)

ميلاده

وبعد أن روت لنا الآيات من رقم 16 إلى رقم 21 من سورة مريم، كما في فقرة «حملها (عليها السلام) المسيح (عليه الصلاة والسلام)» من الفصل السابق، تتابع الآيات التاليات من السورة عينها، رواية قصة ميلاد ابنها المسيح عيسى (عليه الصلاة والسلام):

{فَحَمَلَتْهُ فَٱنْتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًا * (22) فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًا * (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا * (24) وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًا * (25) فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًا * (26) فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًا (27) يٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًا * (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًا *(29) قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًا * (30) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًا * (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًا * (32) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًا * (33) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ * (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن

يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (35) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * (36)}.

مدة الحمل والولادة

لم يعطِ القرآن أيّ إشارة تدلّ على مدة حمل مريم (عليها السلام) للمسيح (عليه الصلاة والسلام) كما لم يتفق المفسرون على تلك المدة، فمنهم من قال إنها امتدت لسبعة أشهر، ومنهم من قال ستة، ومنهم من قال ثمانية، ومنهم من قال ثلاث ساعات، ومنهم من قال ساعة واحدة. ولكنني لم أعثر، في المراجع التي اطلعت عليها، على أن أحدًا منهم أورد ما يبرر قوله في تلك المدة.

وقد جاء في تفسير زاد المسير[1] عن ذلك: «وفي مقدار حملها سبعة أقوال .

أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعته في الحال، لأن الله تعالى يقول: {فحملته فانتبذت به}، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتًا يحتمل الانتباذ به .

والثاني: أنها حملته تسع ساعات، ووضعت من يومها، قاله الحسن .

والثالث: تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبير، وابن السائب .

---

1 لأبي الفرج ابن الجوزي. وهو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج.

والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان .
والخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يعش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في هذا آية، حكاه الزجاج .
والسادس: في ستة أشهر، حكاه الماوردي .
والسابع: في ساعة واحدة، حكاه الثعلبي.»

أما أنا فإنني فأرى أن مدة الحمل هذه يفترض أن تكون قصيرة جدًا وقد لا تتعدى بضعة أيام أو ربما كانت يومًا أو بعض يوم، وذلك للأسباب التالية:

1- قال تعالى في محكم كتابه الكريم: {...**وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ**...} (مريم 21) {**وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**..} (الأنبياء 91) {...**وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**...} (المؤمنون 50). والآية هنا، هي علامة على قدرة الله، عز وجل[1]. فكي تكتمل عناصر كون عيسى (عليه الصلاة والسلام) آية، وجب أن يكون كلّ ما خصّه، مختلفًا عن سائر البشر. فكما خلقه الله تعالى من غير أب، وكما تم حمل أمه به بالنفخ من الملاك الذي بعثه الله لها، وكما تكلّم في المهد، وغير ذلك من المعجزات التي جاء بها بإذن ربه، فلذلك إني أرى أن تكون مدة حمل أمه به، أيضًا مغايرة عنها لدى سائر النساء، وبالتالي فإن مدة حمل مريم (عليها والسلام) للمسيح (عليه الصلاة والسلام) يفترض أن تكون أقصر من أقصر مدة

[1] القاموس المحيط للفيروزابادي.

حمل معروفة عند باقي النساء، بل أقصر من أي مدة يقرّ العلم بقابلية المولود فيها للحياة، ويقول علم الطب الحديث بأنّ الجنين يكتمل نموّه فيما بين 36 و42 أسبوعًا، ولكنه يكون قابلًا للحياة إذا ما ولد بعد 24 أسبوعًا أو أكثر؛ وقد أفادني الدكتور شوقي غريزي، وهو من مشاهير الأطباء من ذوي الاختصاص في التوليد والطب النسائي، بأن قد حصلت ولادة بعد فترة حمل لم تزد عن 22 أسبوعًا وعاش المولود. وهذا ما يزيدني اعتقادًا بفرضية أن فترة الحمل بالمسيح (عليه الصلاة والسلام) كانت أقصر، حتى، من فترة الاثنين والعشرين أسبوعًا هذه. وعلى من يقول إن الأجهزة الحديثة تقوم، في أيامنا هذه، مقام رحم الأم في حال الولادة المبكرة، مما يساعد في قابلية الحياة لمولود كهذا؛ أجيب بأنّ الذي خلق العلماء، الذين صنعوا تلك الأجهزة، لا يصعب عليه أن يجعل مثل هذا المولود قابلًا للحياة، خاصة إذا كان هو ﷻ الذي أمر بتكوينه وخلقه. {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ***(59)} (آل عمران)

2- إن قدرة الله، عز وجل، ليس لها حدود. فهو {... **إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ***} (مريم 35) {**إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** } (يس 82) {...**فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ***} (غافر 68)، فعملية التكوين، عند الله، تعالى، لا تكون مرتبطة بعامل الزمن، إلا إذا كانت عملية

تكوين عادية مما وضع له، سبحانه، ناموسًا تتم بمقتضاه. وإذا عدنا إلى سورة مريم رقم (19) لقرأنا أن الملاك جاء مريمَ (عليها السلام)، قائلًا: {... **إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لَأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًا** * (الآية 19)، قالت له: {...**أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًا** *} (الآية 20) أجابها: {... **كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ**...} (الآية 21)؛ فهل ترى معي، أيها القارئ الكريم، أن المقصود بالهّين على الله تعالى، هنا، هو فقط في تلقيح أو وضع بويضة ملقحة في رحم مريم (عليها السلام) من غير أن يجامعها رجل أو من غير أن تفقد عذريتها؟ خاصة بعد ما رأيناه، ولم نزل نراه في عصرنا الحاضر من الاكتشافات العلمية لأسرار الخلق، من التلقيح الاصطناعي إلى أطفال الأنابيب إلى الاستنساخ... ثم ألم يسمع أي منا عن حدوث الحمل لدى بعض العذارى من جراء مداعبة خارجية، أو لعدم تمزق غشاء البكارة لدى بعضهن على رغم حصول الإيلاج، لكون ذلك الغشاء مرنًا ومطاطًا جدًا أو ذا انفراج زائد؟ أفلا يعقل إذًا، أن يكون ذلك الهّين، عليه تعالى، هو في إعطائها جنينًا مكتمل النمو وقابلًا لأن يولد حيًا في وقت قصير جدًا؟ وبالتالي تقصير مدة ذلك الحمل، بجعل الجنين يتكون وينمو ويكتمل في أيامٍ أو حتى في ساعاتٍ؟ كما أنّي أرى أن المقصود، في تلك الآية، ليس بشارة مريم (عليها السلام) بأنها سترزق بغلامٍ زكيٍ؛ إذ قد بشرتها الملائكة بذلك في الآية 45 من

سورة آل عمران: {**إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ...**}؛ بينما نرى «جبريل» (عليه السلام)، يؤكد لها أنه جاء ليهب لها غلامًا: {... **إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًا***}. ألا يجوز أن يكون هذا الغلام هو ذلك الجنين المكتمل النمو، المهيّأ لأن يولد فورًا أو بعد زمنٍ قصير؟

3- إن الله، عز وجل، قد خلق الإنسان من تراب: {**هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ** *} (الأنعام 2) {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** *} (الحجر 26) {**يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ...**} (الحج 5) {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ***} (المؤمنون 12). فهل يصعب على هذا الخالق أن يخلق إنسانًا ساعة يشاء؟ ويقول «الغزالي» في كتابه «تهافت الفلاسفة»: «إن المادة قابلة لكل شيء: فالتراب، وسائر العناصر يستحيل نباتًا، ثم النبات يستحيل، عند أكل الحيوان له، دمًا ثم الدم يستحيل منيًا، ثم المني ينصب في الرحم فيخلق حيوانًا وهذا بحكم العادة واقع متطاول. فلِمَ يحيل الخصم أن يكون في مقدورات الله تعالى، إن يدير المادة في هذه الأطوار في وقت أقرب مما عهد فيه؟»[1] وهذا يعزّز رأيي بأن الله الذي خلق كل شيء،

1 المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال. تحقيق الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد طبعة دار الأندلس ص: 23.

بما فيه الإنسان، ووضع سنن الكون، وهو القادر الذي لا حدود لقدرته، ليس صعبًا عليه أن يبدل أيًا من تلك السنن وفي أي لحظة شاء، وبالتالي أن يخلق المسيح في ساعات معدودات أو حتى في ساعة واحدة.

4- إن الله، تعالى، الذي أعطى نبيه ورسوله عيسى (عليه الصلاة والسلام) قوة خلق الطير بإذنه، من دون ربط هذا الخلق بعامل الزمن {... **أَنِيٓ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ** ...} (من الآية 49 آل عمران)، أليس هو بقادر على أن يخلق ما يريد من دون الارتباط بعامل الزمن الذي وضعه بنفسه من ضمن ما وضع من نواميس الكون؟

5- {**فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ**...} (مريم 23)، جاء في تفسير البيضاوي لهذه الآية: «{**فَأَجَاءهَا ٱلْمَخَاضُ**} فألجأها المخاض... {**إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ**} لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء، .... ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة[1] النفساء الموافقة لها.» فإذا صحت هذه المقولة، فإننا نفهم منها أنّ النخلة اليابسة أزهرت وأُلقحت أزهارها فأثمرت ثم نضج ثمرها، كل ذلك بأمره تعالى، وفي دقائق معدودات. وتبقى هذه المقولة

1 الـخُرْسَة: التـي تُطْعِمُها النُّفَساءُ نَفْسَها.

فرضيةً إذ لم يذكر لنا قائلها مصدر معلومته هذه، ولم يثبتها علميًّا. ولكن العلم يقول بأنَّ النخلة تحتاج إلى ما بين 5 إلى 10 سنوات، حسب طريقة زرعها، ليكتمل نموها كي تُؤتي ثمارًا، وعند ذلك يكون قد بلغ ارتفاعُ جذعها ما لا يقلُّ عن الأمتار الخمسة، وقطره نحو نصف المتر. أما ثمارها فتقطفُ وهي لم تزل بلحًا، ثم تعالج صناعيًّا لتصبح رُطبًا ثمَّ تمرًا. فهنا نسأل: امرأة وضعت للتوّ مولودها، مع ما ينتج عن المخاض والوضع من ألم ووهن في الجسم، أنّى لها أن تهُزَّ جذع نخلة كهذه كي تساقط عليها من بلحها، غير الناضج بعد، رُطبًا؟ وهل كان سيتمُّ ذلك لو لم يقضِ الله تعالى بتبديل ناموسٍ يعطيها قوة تمكنها من هزّ ذلك الجذع؟ وآخر يحوّلُ البلح رطبًا في ثوانٍ معدودات؟ وبالتالي هل يبقى لدينا أي مقدار من الشك في أنّه ليس من الصعب عليه، عز وجل، أن يخلق إنسانًا في ساعاتٍ معدوداتٍ أو حتى في ساعةٍ واحدةٍ؟

6 - ويقول تعالى في كتابه الكريم: {**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ***} (آل عمران 37). وقد أثبتنا سابقًا ما قاله ابن كثير، في كتابه «قصص الأنبياء»، بأنها كانت «تقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل

بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والشريفة، حتى أنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقًا غريبًا في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها: «أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا» فتقول: «هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ» أي رزق رزقنيه الله «إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»[1]. ورأى غير واحد من المفسرين ما يحاكي رأى ابن كثير هذا. ثم يقول، سبحانه وتعالى: **{وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ *}** (آل عمران42). إن امرأة اصطفاها الله، عز وجل، وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وأرادها أن تكون آية على قدرته عز وجل، وأنعم عليها بما ذكرنا من الصفات والأخلاق والسيرة الحسنة، بل وجعلها مضرب مثل في التعبد، وعصمها من مس الشيطان لها، إنّ مثل هذه المرأة، لا أتصور أن الله، عز وجل، سيسمح بأن تكون عرضة لألسنة الناس تتفوه بما قد يسيء إلى سمعتها أو أخلاقها ولو همسًا، سواء بظهور حملها لمدة طويلة، أم أيضًا، بابتعادها عن أهلها مدة قد تزيد عن اليوم الواحد، عندما قال: **{فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا *}** (مريم 22)، ويقول «تفسير زاد المسير»، في هذا: إن ابتعادها عن أهلها كان بأن «مشت ستة أميال». ثم لو عدنا إلى ما جاء في الآية 26 من سورة مريم،

---

1 قصص الأنبياء ص: 574

{... **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا***}، لوجب علينا التساؤل عمن المقصود بأحد من البشر؟ فهل هو أي إنسان قد تلتقيه سواء ممن يعرفونها أم لا؟ وهل عليها التبرؤ أمام من لا يعلم عنها أو عن حملها أي شيء؟ بالطبع يجب أن يكون ذلك الإنسان ممن يهتم لأمرها وبالتالي أن يكون من أهلها. ثم نسأل: أي يوم هو المقصود بقوله **{فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا}**، هل هو كل يوم قد ترى فيه بشرًا؟ أم هو أول يوم لها بعد الولادة؟ وهل يعقل أن يفرض عليها الصمت الدائم؟ أو حتى لمدة قد تزيد عن بضعة أيام؟ ولنذكر أن زكريا (عليه الصلاة والسلام)، يوم بشر بيحيى (عليه الصلاة والسلام)، فرض عليه الصوم عن الكلام ثلاثة أيام فقط. مما تقدم نستنتج أن المسافة فيما بين المكان الذي وضعت فيه، وديار أهلها كانت أقل من مسيرة اليوم الواحد، وبالتالي يكون ذلك اليوم هو اليوم نفسه الذي ولد فيه المسيح (عليه الصلاة والسلام)، والذي عادت فيه مريم (عليها السلام)، إلى أهلها. ولا ننسى أن الله تعالى هو الذي دحض اتهام اليهود لها بالزنا بقوله: **{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا}** (النساء 156)، واصفًا ذلك الاتهام بالبهتان، وقرنه بالكفر. ألا تكفينا هذه الآية دليلًا على إرادته تعالى في إبقاء مريم (عليها السلام) فوق الشبهات؟

7 - ثم إنّ ما من كلمة أو حرفٍ ورد في القرآن الكريم عن عبث أو من دون مبرر. فلو أعدنا قراءة الآيات

رقم (16) وما يليها من سورة مريم، للاحظنا أنها تروي لنا قصة الحمل والولادة معتمدة حرف العطف (ف) للربط بين الأحداث. والفاء من حروف العطف، ولها ثلاثة مواضع: «يُعطَف بها وتَدُلُّ، على الترتيب والتعقيب مع الإشْراك»،[1] فإذا قلت: «جاء زيدٌ فعمرٌو»، يعني أن زيدا وعمروا اشتركا في المجيء، وأن زيدا جاء أولا وبعده عمرو ومن دون مهلة بينهما... وتقول تلك الآيات: **{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًا* (16) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَآ رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * (17)}** ثم بعد انتهاء الحوار بين مريم (عليها السلام) والملاك بقوله: ان تلك هي مشيئة الله تعالى، تقول الآيات: **{فَحَمَلَتْهُ فَٱنْتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًا * (22) فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ... * (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى...* (24) وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًا * (25) فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًا * (26) فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ... * (27)}**.

ألا ترى معي أيها القارئ الكريم أن هذه الأحداث قد حصلت في أوقات متتالية من دون مهلٍ فيما بين الحدث والذي يليه؟

1 لسان العرب – ابن منظور.

فلو أراد العطف والترتيب فقط، ومن دون التعقيب، لاستعاض عن «الفاء» ب«ثم».

فهذا كله يجعلني أقدِّر أن مدة حمل مريم (عليها السلام) للمسيح (عليه الصلاة والسلام) يقتضي ألاّ تتعدى مدة تحقق الناس من حملها، بظهوره عليها، وبالتالي أراها قد لا تتعدى اليوم الواحد أو اليومين، ليتكوّن الجنين، بإرادة الله، في رحم مريم (عليها السلام) منذ لحظة ظهور الملاك عليها، حتى وضعها المولود؛ وبذلك يكون، قد اكتمل أهم عناصر «الآية» التي أرادها الله، عز وجل، عندما قال: {...**وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ**...} (مريم 21). والله أعلم.

اسمه

{إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ...} (آل عمران 45)

لقد وردت هذه التسمية (المسيح عيسى ابن مريم) أيضًا في الآيتين (157 و171) من سورة النساء. إلا أن القرآن الكريم ذكر عيسى (عليه الصلاة والسلام) في آيات أخرى كما يلي:

عيسى ابن مريم: في الآيتين 87 و253 من سورة البقرة، وفي الآيات 46 و78 و110 و112 و114 و116 من سورة المائدة، وفي الآية 34 من سورة مريم، وفي الآية 7 من سورة الأحزاب، وفي الآية 27 من سورة الحديد، وفي الآيتين 6 و14 من سورة الصف.

عيسى: في الآية 136 من سورة البقرة، وفي الآيات 52 و55 و59 و84 من سورة آل عمران، وفي الآية

163 من سورة النساء، وفي الآية 85 من سورة الأنعام، وفي الآية 13 من سورة الشورى، وفي الآية 57 من سورة الزخرف.

ابن مريم: في الآية 50 من سورة المؤمنون، وفي الآية 57 من سورة الزخرف.

المسيح ابن مريم: في الآيات 17 و72 و75 من سورة المائدة، وفي الآية 31 من سورة التوبة.

المسيح: في الآية 172 من سورة النساء، وفي الآية 72 من سورة المائدة، وفي الآية 30 من سورة التوبة.

أما في معنى كلمة «المسيح» فقد جاء في تفسير «زاد المسير»:

«وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال .

أحدها: أنه لم يكن لقدمه أخمص والأخمص ما يتجافى عن الأرض، من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني: أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد .

والرابع: أن معنى: المسيح: الصديق، قاله مجاهد، وابراهيم النخعي، وذكره اليزيدي. قال أبو سليمان الدمشقي: ومعنى: هذا أن الله مسحه فطهره من الذنوب.

والخامس: أنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها، ذكره ثعلب، وبيانه أنه كان كثير السياحة .

والسادس: أنه خرج من بطن أمه ممسوحا، بالدهن قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال ابو عبيد

المسيح: في كلام العرب على معنيين أحدهما المسيح الدجال، والأصل فيه الممسوح لأنه ممسوح أحد العينين، والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية مشيحا، بالشين فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سينا كما قالوا: موسى وأصله بالعبرانية: موشى قاله ابن الأنباري، وإنما بدأ بلقبه فقال: المسيح عيسى بن مريم لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قلّ أن يقع على سمي يشتبه به، وعيسى قد يقع على عدد كثير فقدمه لشهرته ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم.»

ويقول المعلم «بطرس البستاني» في «محيط المحيط»: المسيح، «هو بالعبرانية مشيح وبالسريانية مشيحا وباليونانية خريستس معناهن ممسوح. سُمي به لأنه مُسِح من الله كاهنًا ونبيًا وملِكًا. وكانت العادة في القديم أن يُمسَح الكهنة والملوك بالدهن. أن «عيسى اسم عبراني أو سرياني وقيل هو مقلوب يسوع وهو عبراني أيضًا ولعله تحريف عيسو».

أما «البيضاوي» فيقول: «المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا معناه: المبارك، وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع، أو مسحه جبريل، ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة، تكلف لا طائل تحته،»

«وابن مريم صفته، وإنما قيل ابن مريم والخِطاب لها تنبيهًا على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى الآباء ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب.»

ويقول «ابن كثير»:

«وسمي المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته. وقيل: لأنه كان مسيح القدمين، لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برىء، بإذن الله تعالى.»

وفي تفسيره للآية (172) من سورة النساء يقول «الطبري»:

«وأصل المسيح: الممسوح، صرف من مفعول إلى فعيل، وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه فيطهر منه، ولذلك قال مجاهد ومن قال مثل قوله: المسيح: الصديق. وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية «مَشِيحَا» فعرّبت، فقيل المسيح، كما عرّب سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن مثل إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى».

حداثته

كل ما ذكره القرآن الكريم عن حداثة المسيح (عليه الصلاة والسلام) هو أن الله سبحانه وتعالى، آواه وأمه إلى ربوة ذات قرار ومعين: **{وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ *}** (المؤمنون 50) ولم يحدد مكان تلك الربوة. وقد اختلف المفسرون في تحديد ذلك المكان.

فقد جاء في تفسير «الطبري»: «وقوله وآوَيْناهما إلى رَبْوَةٍ يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يأوِي إليه. إذا صار إليه وعلى مثال «أفعلته» فهو يُؤْويه. وقوله إلى رَبْوَة يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما ...

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وآوَى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرَّملة من فلسطين.. وقال آخرون: هي دمشق.»

وفي تفسير «البيضاوي» نقرأ: انها «أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر.»

أما «ابن كثير» فيقول أيضًا بأن المفسرين اختلفوا في تحديد مكان تلك الربوة. وفي تفسيره لصفة: **{ذَاتِ قَرَارٍ}** يقول «ذات خصب وماء ظاهر.»

والقرار لغة: «المطمئن من الأرض والمستقر الثابت منها. ومعن الماء يمعن معنًا فهو معين». (محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني). وفي كتاب (كلمات القرآن تفسير وبيان، لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف) يقول: «إلى ربوة: على مكان مرتفع من البلاد. ومعين: ماء جار ظاهر للعيون.»

وأظنُّ أن الله تعالى أراد، لسبب لا يعلمه إلا هو، أن يُبعد المسيح (عليه الصلاة والسلام) عن الناس جميعًا قبل رسالته، وهذا ما أفهمه من قوله تعالى: **{وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا...}** (آل عمران 46). وفي لسان العرب «الكَهْلُ:

الرجل إذا وَخَطه الشيب ورأَيت له بجالةً[1]، وفي الصحاح: الكَهْلُ من الرجال الذي جاوَز الثلاثين ووَخَطه الشيبُ». وفي تفسير زاد المسير يقول: «الكهل عند العرب الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلا لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم قد اكتهل النبات،». كما أن معظم المفسرين قالوا بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام) بدأ في إبلاغ رسالته إلى الناس، بعد بلوغه الثلاثين من العمر.

وفاته ورفعه إلى الله تعالى

قال تعالى: **{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ* (54) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ* (55)}** (آل عمران)

جاء في تفسير «الطبري» لهاتين الآيتين ما يلي: «يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم، إذ قال الله جل ثناؤه: {إِنّي مُتَوَفّيكَ} فـ«إذْ» صلة من قوله: {وَمَكَرَ ٱللَّهُ} يعني: ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: {إِنّي مُتَوَفّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فتوفاه ورفعه إليه.»

وقد اختلف المفسرون في معنى الوفاة، فمنهم من قال بأنها كانت بالموت ومنهم من قال بأنها كانت بالنوم. ولكنهم اتفقوا على أن الله تعالى، رفعه إليه، وطهره من الذين كفروا. كما أن معظمهم يقول بأنه لم يمت.

---

[1] بَجالَةَ: بَطْنٌ.

وقد جاء في تفسير «الطبري»: «قال أبو جعفر: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عزّ وجلّ لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله عزّ وجلّ إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه؛ **{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَىْءٍ}**.»

كما يذكر القرآن الكريم أيضًا وفاة المسيح (عليه الصلاة والسلام) في الآيتين التاليتين:

{... وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ*} (المائدة 177)

{وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (مريم 33).

الفصل الثالث

ألقاب وصفات المسيح (عليه الصلاة والسلام)

نبيّ ورسول

النبيّ لغة: «المخبر عن الله، عز وجل» (كما في باب «نبأ» في «لسان العرب» و«محيط المحيط للبستاني») والرَّسول: «معناه في اللغة الذي يُتابع أخبار الذي بعثه أخذًا من قولهم جاءت الإبل رَسَلًا أي متتابعة. وقال أبو إسحق النحوي في قوله عز وجل حكاية عن موسى وأخيه: «فقُولا إنَّا رسول {رَبّ العالمين} مَعنَاهُ إنَّا رسالَةُ رَبِّ العالمين أَي ذَوَا رِسالة رب العالمين،» (كما في باب «رسل» في «لسان العرب»).

لقد ذكر القرآن الكريم نبوّة المسيح (عليه الصلاة والسلام) في الآيات التاليات:

- **{أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ...}**. (الأنعام 89) هذا بعد أن يعدد بعضًا من الأنبياء في الآيات التي سبقتها بمن فيهم المسيح (عليه الصلاة والسلام)
- و**{قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًا *}**. (مريم 30)
- و**{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا *}**. (الأحزاب 7).

أما ذكره (عليه الصلاة والسلام) كرسول فقد جاء في تسع آيات وهي:

- **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ ...}**. (البقرة 87)
- **{تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ...}**. (البقرة 253)،
- **{...وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...}** (آل عمران 49)،
- **{رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ*}** (آل عمران 53)،
- **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ...}** (النساء 157)،
- **{... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ...}** (النساء 171)،
- **{مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ...}** (المائدة 75)،
- **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ آمَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ *}** (لمائدة 111)،
- **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ...}** (الصف 6)

زكي

عندما نزل الملاك على مريم (عليها السلام) وتمثل لها بشرًا فأوجست منه خيفة **{قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لَأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًا *}** (مريم 19).

والرجل الزكي لغة كما جاء في «محيط المحيط - للبستاني» هو: «من صلح وتنعم وكان في خصب. وزكاه الله تعالى تزكية أنماه وطهره.» وفي تفسير «البيضاوي» أن زَكِيًا تعني: «طاهرًا من الذنوب أو ناميًا على الخير أي مترقيًا من سن إلى سن على الخير والصلاح.»

وفي تفسير «الطبري»: «الغلام الزكيّ: هو الطاهر من الذنوب».

عبد الله

بعد أن ولدته (عليه الصلاة والسلام)، وجاءت به أهلها، الذين استنكروا ما رأوه، أشارت مريم (عليها السلام) إليه، **{قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًا *}** (مريم 30).

وقد تكررت هذه الصفة على المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في القرآن الكريم، أيضًا، في الآيتين:

- **{لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا للَّهِ وَلاَ ٱلْمَلآئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا*}** (النساء 172)
- **{إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ *}** (الزخرف 59).

وكل مخلوق هو عبدٌ لخالقه والناس كلهم عباد الله، ﷻ، الذي خلقهم، بمن فيهم الأنبياء والرسل، مهما علت درجاتهم عنده.

وقد جاء في «محيط المحيط - للبستاني» (في باب عبد): «عبَدَ الله تعالى طاع له وخضع وذل وخدمه والتزم شرائع دينه ووحده... والعبد الإنسان حرًا كان أو رقيقًا.

«وفي لسان العرب»: «العبد: الإنسان، حرًا كان أَو رقيقًا، يُذْهَبُ بذلك إلى أَنه مربوب لباريه، جل وعز.»

مبارك

{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًا *} (مريم 31)

في لسان العرب «المبارك ما يأْتي من قِبَله الخير الكثير» وفي تفسير الجلالين «نفّاعًا للناس». وهل جاء من المسيح (عليه الصلاة والسلام)، غير الخير والنفع للناس؟

من الصالحين

{وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ*} (آل عمران 46) **{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ *}** (الأنعام 85)،

في لسان العرب «رجل صالح في نفسه من قوم صُلَحاء ومُصْلِح في أَعماله وأُموره، وقد أَصْلَحه الله».

ولقب «صالح» أطلق في القرآن الكريم على جميع الأنبياء والمرسلين الذين ذكرت أسماؤهم فيه.

من المقربين

{إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَآئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ*} (آل عمران 45)

في تفسير الطبري: «{وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ} فإنه يعني: أنه ممن يقرّبه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره، ويدنيه منه.»

وهل من منزلة أرفع من أن يكون الإنسان مقربًا عند الله تعالى، يوم القيامة؟

من المنعم عليهم

{إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ*} (المائدة 110)

{إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ *} (الزخرف 59).

رسول ونبي وزكي وطاهر ومعصوم ومبارك وصالح ووجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين عنده تعالى... إلى آخر ما اختُص به، من صفات وقدرات وآيات... ألا يكفي هذا كله ليُعَدّ نعمًا أنعمها الله تعالى على المسيح (عليه الصلاة والسلام)؟

كلمة الله

{إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلاۤئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ...} (آل عمران 45)،

{...إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ...} (سورة النساء 171)،

إن كتب التفسير التي اطلعت عليها لغاية هذا البحث، قد أجمعت أن صفة «الكلمة» أطلقت على المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لأن الله تعالى، خلقه بكلمة «كن»، كما في الآيتين

- (35 مريم) {...**إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ***}
- و(آل عمران 59) {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ***}
- وكذلك عندما جاءت الملائكة زكريا (عليه الصلاة والسلام)، بالبشرى {... **وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدقًا بِكَلِمَةٍ منَ ٱللَّهِ وَسَيدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًا منَ ٱلصَّالِحِينَ** *} (آل عمران 39). وقد قالت كتب التفسير بأن المقصود، في هذه الآية، «بِكَلِمَةٍ منَ ٱللَّه» هو المسيح (عليه الصلاة والسلام). ونشير هنا إلى أن يحيى (عليه الصلاة والسلام)، هو نفسه يوحنا المعمدان.

روح من الله

- {...**إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** ...} (النساء 171)،
- {**وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**...} (الأنبياء 91)،
- {**وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا** ...} (التحريم 12)،

جاء في تفسير البيضاوي: «وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له، وقيل سمي روحًا لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب».

أما في تفسير زاد المسير فيقول: «وفي معنى {وروح منه} سبعة أقوال .

أحدها: أنه روح من أرواح الأبدان. قال أبي بن كعب: لما أخذ الله الميثاق على بني آدم كان عيسى روحا من تلك الأرواح، فأرسله إلى مريم، فحملت به .

والثاني: أن الروح النفخ، فسمي روحا، لأنه حدث عن نفخة جبريل في درع مريم.

والثالث: أن معنى {وروح منه} إنسان حي باحياء الله له.

والرابع: أن الروح: الرحمة، فمعناه: ورحمة منه، ومثله {وأيدهم بروح منه} [المجادلة: 22].

والخامس: أن الروح هاهنا جبريل. فالمعنى: ألقاها الله إلى مريم، والذي ألقاها روح منه. ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو سليمان الدمشقي .

والسادس: أنه سماه روحا، لأنه يحيا به الناس كما يحيون بالأرواح، ولهذا المعنى: سمي القرآن روحا، ذكره القاضي أبو يعلى .

والسابع: أن الروح: الوحي أوحى الله إلى مريم يبشرها به، وأوحى إلى جبريل بالنفخ في درعها، وأوحى إلى ذات عيسى أن: كن فكان. ومثله: {ينزل الملائكة بالروح من أمره} [النحل: 2] أي: بالوحي، ذكره الثعلبي .

فأما قوله: «منه» فانه إضافة تشريف، كما تقول: بيت الله، والمعنى من أمره، ومما يقاربها قوله: {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه} (الجاثية: 13).»

وجيه في الدنيا والآخرة

{إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَآئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ*} (آل عمران 45)

يقول الطبري: «يعني بقوله «وجيها»: ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة.»

وفي تفسير الجلالين: «(وجيها) ذا جاه في (الدنيا) بالنبوة وفي (الآخرة) بالشفاعة والدرجات العلا.»

والوجيه لغة: «سيد القوم وذو الجاه والوجاهة... والوجاهة، القدر والشرف» (محيط المحيط لبطرس البستاني، باب وجه). وعندما نقول: فلان من وجهاء القوم، نكون بذلك، أيضًا، قد رفعناه في المقام درجات عن سائر أفراد القوم. أما أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وجيهًا في الدنيا والآخرة فهذا تأكيد على سمو قدره وشرفه وعلو مقامه عن سائر البشر.

عِلْمٌ للساعة

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ *} (الزخرف 61)،

يقول الطبري في تفسيره: «اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: وإنَّهُ وما المعنيّ بها، ومن ذكر ما هي،

فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى، وهي عائدة عليه. وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة.»

وفي تفسير زاد المسير يقول: «قوله تعالى: {وإنه لعلم للساعة} في هاء الكناية قولان :

أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى عليه السلام. ثم في معنى الكلام قولان. **أحدهما**: نزول عيسى من أشراط الساعة يعلم به قربها. وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي . **والثاني**: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى قاله ابن إسحاق .

والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن قاله الحسن وسعيد بن جبير. وقرأ الجمهور {لعلم} بكسر العين وتسكين اللام. وقرأ ابن عباس وأبو رزين وأبو عبد الرحمن وقتادة وحميد وابن محيصن بفتحهما.

قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين فالمعنى: أنه يعلم به قرب الساعة ومن فتح العين واللام فإنه بمعنى العلامة والدليل.»

ومنذ نعومة أظفارنا ونحن نسمع، أن قبل يوم القيامة سيأتي رجل أعور يدعي أنه المسيح، عندها يعود المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إلى الأرض فيقتل ذلك الدجال ويجعل جميع الناس يعتنقون الإسلام، وبعد ذلك يكون يوم القيامة. لم يكن ذلك ما يقوله أصحاب مذهب واحد بل كانوا من أتباع مذاهب إسلامية متعددة.

هذا ما يدل على أن كثيرًا من المفسرين يجمعون على أن عودة المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إلى الأرض، هي إحدى علامات يوم القيامة أي «الساعة».

معصوم

في لسان العرب: «العصْمة في كلام العرب: المَنْع. وعِصْمةُ الله عَبْدَه: أَن يَعْصِمَه مما يُوبِقُه. عَصَمه يَعْصِمُه عَصْمًا: مَنَعَه ووَقَاه.» وأوبقه، تعني حبسه أو أهلكه.

وفي «محيط المحيط» يقول «بطرس البستاني» في باب «عصم»: عصم «الله فلانا من المكروه حفظه ووقاه. ومعصوم، هو ذو عصمة» ويورد للعِصمة عدة معانٍ: «والعِصمة أيضًا المنع. قيل العِصمة عبارة عن وجود إلهي يسنح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس. وفي التعريفات العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها.»

وإني أرى أن في القرآن الكريم ما يفيد بأن الله تعالى قد عصم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بالمعنيين السابقين. ففي معنى الحماية أيضًا، نقرأ: **{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ*** (54) **إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**... (55)} (آل عمران) ومن هاتين الآيتين نفهم أن الله تعالى قد حماه من مكر اليهود عندما أرادوا قتله، فرفعه إليه. ويعزز رأيي هذا، قول الطبري في تفسير الآية (54): «يعني بذلك جلّ ثناؤه:

ومكر الذين كفروا من بنـي إسرائيـل، وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحسّ منهم الكفر،» وفي الآية (55) يقول: «يعنـي بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بـالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بـالله، وتكذيبهم عيسى فـيما أتاهم به من عند ربهم، إذ قال الله جل ثناؤه: {إِنّي مُتَوَفّيكَ} فـ«إذْ» صلة من قوله: {وَمَكَرَ ٱللَّهُ} يعنـي: ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: {إِنّي مُتَوَفّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فتوفـاه ورفعه إلـيه.»

وقد جاء في تفسير ابن كثير للآية (36) من سورة آل عمران: «وقوله إخبارًا عن أم مريم أنها قالت {وَإِنّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ} أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام، فاستجاب الله لها ذلك، كما قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إياه، إلا مريم وابنها». وهو يريد القول إن الله عز وجل، قد وقى المسيحَ من أذى الشيطان، والله أعلم.

وفي معنى الوقاية من ارتكاب المعاصي، فإننا لا نجد في القرآن الكريم آية واحدة تدل على أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد ارتكب ولو معصية واحدة.

فكيف يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، معصومًا من ارتكاب المعاصي، ويمكن لبعض جهابذة السينما في الولايات المتحدة الأميركية، أن يصوروه، في أحد الأفلام، وباسم حرية الرأي والتعبير، ذلك الشخص المتهتك؟؟؟

غفرانك يا رب، ومسكينة أنت أيتها الحرية فكم من الجرائم ترتكب باسمك في عصر الحضارة هذا!!!

طاهر

{إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...} (آل عمران 55)

و«طهّره جعله طاهرًا. والطهارة لغة التنزه عن الأدناس ولو معنويًا... والطُّهْر: نقيض النجاسة.» (محيط المحيط باب طهر.)

وفي تفسير «الطبري»: {وأما مطهرك من الذين كفروا، فإنه يعني منظّفك، فمخلِّصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل غيرها.»

وأيضًا «الزكي: هو الطاهر من الذنوب» (راجع فقرة زكي).

وقد رأينا أن الطبري قال في تفسيره لمعنى كلمة المسيح في الآية (172) من سورة النساء حيث يقول: «وأصل المسيح: الممسوح، صرف من مفعول إلى فعيل، وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه فيطهر منه.» (راجع الفصل الثاني)

بتول[1]

لم يعطِ القرآن أية إشارة عن أن المسيح (عليه الصلاة والسلام) قد تزوج أو كان له جارية، بينما نراه ينبئنا عن ذلك بالنسبة لغيره من الأنبياء والمرسلين، فيحدثنا عن أزواج كل من آدم ونوح وإبراهيم ولوط وموسى (عليهم الصلاة والسلام)، وعن أولاد كل من صالح وإسماعيل واسحق ويعقوب وشعيب وأيوب وإلياس وداود وزكريا (عليهم الصلاة والسلام)، ولا ننسى أيضًا ما جاء عن زوجات رسوله الكريم النبي محمد ﷺ.

مثل

{إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيۤ إِسْرَآءِيلَ *} (الزخرف 59)

يقول تفسير زاد المسير: «{وجعلناه مثلا} أي: آية وعبرة {لبني إسرائيل} يعرفون به قدرة الله على ما يريد إذ خلقه من غير أب.» وقد جاء ما يشبه ذلك في تفسير الطبري وتفسير البيضاوي وتفسير الجلالين.

صادق

{وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيۤ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاۤ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ *(116) ... قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ

---

1 البتول من النساء: المنقطعة عن الرجال. وقد استعرنا التعبير هنا للدلالة على أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، كان منقطعًا عن النساء.

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ* (119)} (المائدة)

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا *(7) لِّيَسْأَلَ ٱلصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا *(8)} (الأحزاب).

وهل من صفة يمكن لإنسان أن يتحلى بها، أسمى وأفضل وأرفع من أن يكون صادقًا بين الناس؟ أما أن يطلق عليه رب العالمين هذه الصفة، [في الآية 119 المائدة]، فهذا يعني أن ذلك الإنسان لا يجوز أن يرقى الشك إلى كلامه مطلقًا، فقد يكذب أحدهم ولا يكتشف الناس كذبه، أما الله تعالى فلا يخفى عليه ذلك {أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} (البقرة 77) {...وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (التوبة 42).

برّ

{وَبَرًا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا *} (مريم 32).

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: «البرّ هو البـارّ، يقال: هو برّ بوالده، وبـارّ به،»

وفي قاموس محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني: «برَّ والده، أحسن إليه ووصله.»

والقرآن الكريم هنا يناقض بعض الروايات التي تقول بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، كان يترك أمه وحيدة ويهجرها أيامًا أو شهورًا متناسيًا شؤون معيشتها.

رحمة للناس

{قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًا *} (مريم 21)

يقول الطبري: «ورحمة منا لك، ولمن آمن به وصدّقه». وفي تفسير البيضاوي: «{وَرَحْمَةً مّنَّا} على العباد يهتدون بإرشاده». كذلك يقول تفسير زاد المسير: «{ورحمة منا} أي: لمن تبعه وآمن به».

وفي محيط المحيط يقول البستاني: «وذكر بعض المحققين أن الرحمة من صفات الذات وهي إرادة إيصال الخير ودفع الشر... وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة. وذكر الإمام الرازي أن الرحمة لا تكون إلا لله لأن الجود هو إفادة ما ينبغي لا لغرض وكل أحد غير الله إنما يعطي ليأخذ عوضًا.»

فمن منن الله تعالى على عباده أن أرسل المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لإيصال الخير لهم من عنده تعالى بالرسالة التي بعثه بها، ودفع الشر عنهم بإذنه جل جلاله، بالعفو عمن آمن بتلك الرسالة.

آتاه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل

{وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ*} (آل عمران 48)،

{...وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ...} (المائدة 110)

{قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًا} (مريم 30)،

{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ ...} (الحديد 27)،

يقول الطبري في تفسيره للآية (48) من سورة آل عمران: «...فيعلمه الكتاب، وهو الخط الذي يخطه بيده، والحكمة: وهي السنة التي نوحيها إليه في غير كتاب، والتوراة: وهي التوراة التي أنزلت على موسى، كانت فيهم من عهد موسى، والإنجيل: إنجيل عيسى، ولم يكن قبله، ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه إليه، وإنما أخبرها بذلك، فسماه لها، لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا يوحى إليه كتابا اسمه الإنجيل، فأخبرها الله عزّ وجلّ أن ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم الذي سمعت بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي يسمى إنجيلًا، هو الولد الذي وهبه لها، وبشرها به.»

أيده الله بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ

{... وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...} (البقرة 87)،

{... وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...} (البقرة 253)،

{إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...} (المائدة 110)،

جاء في تفسير الطبري للآية (87) من سورة البقرة: «أما معنى قوله: وأيّدْناهُ فإنه قوّيناه فأعنّاه، ... ثم اختلف في تأويل قوله: رُوحِ القُدُسِ...فقال بعضهم: روح القدس

الذي أخبر الله تعالى ذكره أنه أيد عيسى به هو جبريل عليه السلام... وقال آخرون: الروح الذي أيد الله به عيسى هو الإنجيل... وقال آخرون: هو الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى. وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبريل لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به.»

وقد اتفق مع الطبري في أن «الروح القدس» هو جبريل، كل من ابن كثير والجلالين والبيضاوي.

قدوة للنبي محمد ﷺ

{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ* (85)....أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ... *(90)} (الأنعام)،

في هذه الآية، يخاطب الله عز وجل، محمدًا ﷺ، وبعد أن يعدد له في الآيات، التي سبقتها من (83) إلى (89) أسماء أنبياء بعثوا قبله ومنهم المسيح (عليه السلام والسلام)، يقول له: فبهداهم اقتدِ يا محمد ﷺ.

وقد جاء في تفسير الطبري: «ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرجل: اتباع أثره والأخذ بهديه، يقال: فلان يقدو فلانا إذا نحا نحوه واتبع أثره، قِدَةً وقُدْوَةً وقِدْوَة وقِدْوة.»

بشر بالنبي محمد ﷺ

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ...} (الصف 6)،

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرًا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين.»

وهذا ما قالته أيضًا، جميع كتب التفسير التي اطلعت عليها.

مثله كمثل آدم (عليه السلام والسلام)

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* (59)} (آل عمران 59)،

يقول تفسير الطبري: «فتأويل الكلام إذا: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب، ثم قال له كن؛ واعلم يا محمد أن ما قال له ربك: كن، فهو كائن. فلما كان في قوله: {كَمَثَلِ ءادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن} دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كوّنه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر، استغنى بدلالة الكلام على المعنى، وقيل: فيكون، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى. وقد قال بعض أهل العربية: فيكون رفع على الابتداء ومعناه: كن فكان، فكأنه قال: فإذا هو كائن.»

ويقول البيضاوي في تفسيره: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءادَمَ} إن شأنه الغريب كشأن آدم عليه الصلاة والسلام. {خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ} جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه، وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم، شبه حاله بما هو أغرب منه إفحامًا للخصم وقطعًا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب.»

وفي رأيي، إن في هذا أيضًا، تأكيدًا لقوله تعالى {...وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ...}. (مريم 21) وهل يبقى أي شك في أن الله، علت قدرته، الذي خلق آدم (عليه الصلاة والسلام)، من غير أب أو أم، من الصعب عليه أن يخلق عيسى (عليه الصلاة والسلام)، من أم ومن دون أب؟ وهو خالق الأكوان كلها من العدم؟

مصدق للتوارة

- **{وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ...}** (آل عمران 50)،
- **{وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}** (المائدة 46)،
- **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِي إِسْرٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ ...}** (الصف رقم 6)

يقول الطبري في تفسيره للآية (46) من سورة المائدة: «فبعثناه نبيا مصدّقا لكتابنا الذي أنزلناه إلى موسى من قبله أنه حقّ وأن العمل بما لم ينسخه الإنجيل منه فرض واجب. وآتَيْناهُ الإنجيلَ يقول: وأنزلنا إليه كتابنا الذي اسمه الإنجيل. فِيهِ هُدًى وَنُورٌ يقول: في الإنجيل هدى، وهو بيان ما جهله الناس من حكم الله في زمانه، وَنُورٌ يقول: وضياء من عمي الجهالة، وَمُصَدّقا لِمَا بينَ يَدَيْهِ يقول: أوحينا إليه ذلك، وأنزلناه إليه بتصديق ما كان قبله

من كتب الله التـي كان أنزلها علـى كل أمة أنزل إلـى نبـيها كتاب للعمل بـما أنزل إلـى نبـيهم فـي ذلك الكتاب»

الفصل الرابع

المسيح (عليه الصلاة والسلام) آية للناس

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:
{قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًا *} (مريم 21)،
{وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِين*} (الأنبياء 91)
{وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ *} (المؤمنون 50)

والآية في لغة القرآن الكريم هنا، وكما قال المفسرون، هي «علامة على قدرة الله عز وجل». وقدرة الله ليس لها حدود، **{يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*}** (المائدة 17) **{بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*}** (البقرة 117). ولما رأى، تعالى، اليهود ينحرفون عن تعاليم التوراة التي أنزلها على موسى (عليه الصلاة والسلام)، أرسل إليهم المسيح (عليه الصلاة والسلام). وكل رسول بعثه للأنام، كان الله تعالى، يخصه بمعجزات (آيات) يدعم بها رسالته **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ}** (الحديد 25)، و**{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ}** (غافر 78 والرعد 38)، فبالإضافة إلى المعجزات التي أيده بها، كان المسيح نفسه (عليه الصلاة والسلام)، كما أراده الله تعالى، آية في ميلاده وفي حداثته وفي حياته وفي شخصه وفي آخرته.

آية في ميلاده

لقد شبه الله تعالى خلقه المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بخلقه آدم (عليه الصلاة والسلام)، بقوله **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ*}** (آل عمران 59). وقد خلق آدم (عليه الصلاة والسلام)، من تراب من غير أب أو أم، وهذا الخلق آية عظمى، وخلق المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من أم عذراء بتول ومن دون أب، **{قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا*}** (مريم 20). وكان تكوينه وميلاده، في الغالب، في ساعات معدودات قد لا تزيد في مجموعها عن اليوم الواحد أو اليومين؛ كما أطعم الله مريم (عليها السلام) رطبًا في الشتاء ومن نخلة يابسة وسقاها من نهر كان جافًا؛ **{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاَّ تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * (24) وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * (25) فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا (26)}** (مريم). كما جعل المولود يكلم أمه ليطمئنها، **{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاَّ تَحْزَنِى}** (مريم 24)، ويكلم الناس ليبرئ أمه، وينطق بكلام الأنبياء وهو في المهد ولم يمضِ على ميلاده ساعات قليلة **{قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَانِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31)}** (مريم). ألا يكفي ذلك كله ليكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في ميلاده آية عظمى تشبه آية خلق آدم (عليه الصلاة والسلام)؟

آية في حداثته

{وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ *} (المؤمنون 50).

أرجو من القارئ الكريم أن يعود إلى الفصل الثاني من هذا الكتاب، حيث أوضحت بشيء من الإسهاب، ما قاله المفسرون في هذه الآية، وفي وصف تلك الربوة بحيث قاربت أن تكون قطعة من الجنة على الأرض. ففيها الماء والخصب والاستقرار الذي يؤدي إلى الاطمئنان. وهل في هذه الدنيا أفضل من أن يكون الإنسان مطمئنًا؟ فالاطمئنان، في نظري، هو ما يقود إلى السعادة. بل إني أراه من أهم صفات الحياة في الجنة التي وعد بها ربُ العالمين عبادَه الصالحين.

آية في حياته وفي شخصه

رأينا في الفصل السابق أن القرآن الكريم لم يشر إلى أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد اقترف ولو خطيئة واحدة في حياته، لأن الله تعالى قد وقاه من أذى الشيطان ومن ارتكاب المعاصي.

كما رأينا، أيضًا، أن أحد الآراء في تسميته بالمسيح هو أنه: «مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين».

أضف إلى ذلك، أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لم يطلب من الله تعالى، أمرًا جر عليه توبيخًا أو ملامة منه جل جلاله، كما حصل قبله، مثلًا، لكلٍّ من نوح وابراهيم وموسى (عليهم الصلاة والسلام). إذ لما بدأ الطوفان، ولم يصعد ابن

نوحٍ (عليه الصلاة والسلام) إلى الفُلك على رغم مناشدته له، فقد نادى نوح (عليه الصلاة والسلام)، ربّه طالبًا العون لابنه، فوبخه تعالى قائلا: إن طلبك عمل غير صالح فلا تطلب ما ليس لك به علم فتكونن من الجاهلين، عندها استدرك نوح (عليه الصلاة والسلام)، خطأه بطلب الغفران من الله تعالى. **{قَالَ يٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ* (46) قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيَ أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ* (47)}** (هود).

ثم إن إبراهيم ({})، طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فجاءه منه تعالى سؤالٌ، أرى فيه توبيخا وملامة، إذ قد يكون في طلب كهذا بعضٌ من ضعف الإيمان أو التشكيك في قدرة الله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}** (البقرة 260).

أما موسى (عليهم الصلاة والسلام)، فقد طلب من الله عز وجل، أكثر من ذلك، بسؤاله رؤيته عزّ وجلّ، فرد عليه تعالى بأنه ليس فقط لن يراه بل أراه آية جعلته يخر مصعوقًا ولما أفاق أعلن التوبة والإيمان بالله وبقدرته عز وجل. **{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِيَ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ*}**. (الأعراف 143).

وهل في الدنيا إنسان واحد، غير عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لم يقترف في حياته كلها خطيئة واحدة؟ أو حتى لم يأت بأمر واحد جلب له التوبيخ أو اللوم من الله تعالى؟ أفلا يكفينا هذا كي نقول بأنه كان آية في شخصه وفي حياته؟

آية في آخرته

لما استقرّ رأي آل إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، على أن يحرقوه نجّاه الله تعالى بأن جعل النار بردًا وسلامًا عليه، **{قُلْنَا يٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ *}** (الأنبياء 69).

ولما تآمر القوم على قتل موسى (عليه الصلاة والسلام)، بعث الله، علت قدرته، إليه رجلًا ينبئه بالأمر وينصح له بالخروج من المدينة، **{وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يٰمُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ}** (القصص 20)، فهجر مدينته وتوجه إلى مدين، وبذلك نجّاه الله تعالى من القتل.

أما المسيح (عليه الصلاة والسلام)، فلما تآمر اليهود على قتله رفعه الله تعالى إليه، **{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ* (54) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ (55)}** (آل عمران). كان بوسعه تعالى، أن ينجّيه من تلك المؤامرة بأي وسيلة شاء، وهو على كل شيء قدير، ولكنه أراد أن يرى الناس تمام تلك الآية التي أرادها في خلقه المسيح (عليه الصلاة والسلام)، **{وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ}** (مريم 21).

الفصل الخامس

معجزات المسيح (عليه الصلاة والسلام)

منذ بدء الخليقة، وفيما عدا القرآن الكريم، لم تكن تعاليم الرسل والأنبياء تدون، بل كانت تحفظ في ذاكرة الشعوب وتنتقل من جيل إلى جيل، من الفم إلى الأذن. وكلما رأى الله تعالى، انحرافًا أو تغييرا في تلك التعاليم كان يبعث لهم رسولًا أو نبيًّا للعودة بتلك التعاليم ومفاهيمها إلى السبيل القويم وتصحيح الأخطاء وتعديل أو نسخ[1] بعض التعاليم وإضافة تعاليم جديدة. وكي يصدّق الناس أولئك الرسل ويؤمنوا بما جاؤوهم به بأنّه من عند الله، كان تعالى يميزهم عن سائر البشر بالإتيان بما يعجز عنه أي من معاصريهم وبما يناسب ذلك العصر. ففي زمن موسى (عليه الصلاة والسلام)، كان الغالب تعظيم السحر والسحرة فمكنه الله تعالى، من القيام بما لا يقدرون عليه. أما زمن عيسى (عليه الصلاة والسلام)، فكان زمن الأطباء وعلماء الطبيعة، فأعطاه الله تعالى القدرة على القيام بما يعجز عنه هؤلاء.

تلك المعجزات تسمى في القرآن الكريم بالبينات أو الآيات. **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ}** (الحديد 25) و**{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ}** (غافر 78) و **{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ}** (الرعد 38).

---

[1] النَّسْخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه.

وبيّنات جمع بيّنة. والبينة لغة هي الدليل والحجة (محيط المحيط للبستاني باب بان)، وهي هنا بمعنى المعجزة، كما قال ابن كثير في تفسيره للآية 87 من سورة البقرة:

«حتى ختم (الله تعالى) أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البينات وهي المعجزات...»

ولم يكن حظ عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في ذلك بأقل ممن سبقه من الأنبياء والرسل. **{وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ}** (البقرة 87).

{وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ...} (البقرة 253).

{... أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} (آل عمران 49) **{وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ*}** (آل عمران 50) **{وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ}** (الزخرف 63) **{فَلَمَّا جَاءَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}** (الصف 6).

وقد بيّن القرآن الكريم المعجزات التي جاءت على يد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في كل من الآيتين (46) و(49) من سورة آل عمران، والآيات (من 110 إلى 115) من سورة المائدة، والآيات (من 24 إلى 33) من سورة مريم، وهي: الكلام في المهد وخلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والمائدة وإنباء الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، كل ذلك طبعًا بإذن الله تعالى.

كلم الناس في المهد

المهد في اللغة هو موضع نوم الطفل حديث المولد أو الرضيع، ويقول لسان العرب في باب مهد: «المَهْد: مَهْدُ الصبيّ. ومَهْدُ الصبي: موضعه الذي يُهَيّأُ له ويُوَطَّأُ لينام فيه». والمقصود في قوله **{وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ}**، أنّه يكلم الناس وهو رضيعًا حديث الولادة، وليس من الضروري أن يكون مضطجعًا في مهده. وإني أفهم من الآيات رقم (24) وما يليها من سورة مريم، أن عيسى (عليه الصلاة والسلام)، قد تكلم مرتين وهو لم يزل رضيعًا حديث المولد:

فالمرّة الأولى كانت فور ميلاده ليطمئن والدته، **{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاَّ تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا*}** ففي تفسيره لهذه الآية، يقول الطبري: «اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق فَنادَاها مِنْ تَحْتِها بمعنى: فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله فمن متأوّل منهم إذا قرأه مِنْ تحْتِها كذلك ومن متأوّل منهم أنه عيسى، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة والبصرة: «فَنادَاها مَنْ تَحْتها» بفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها، على أن الذي تحتها عيسى، وأنه الذي نادى أمه.»

وإني أرى أن الذي ناداها من تحتها هو عيسى (عليه الصلاة والسلام)، فور ميلاده. وما يجعلني أنحو إلى هذا الرأي هو التالي:

- بعد أن هدأ روعها بقوله لها ألاّ تحزن وأن تقرَّ عينها {**أَلاَّ تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا * (24) وَهُزِّىۤ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًا *(25) فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا**}، طلب منها أن تقول لمن تراه من البشر، إنها نذرت للرحمن صومًا فلن تكلم في ذلك اليوم إنسيًا، {...**فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيۤ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًا * (26)**} (مريم).

- وعندما جاءت قومها تحمله، وقالوا لها بأنها جاءت أمرًا عظيمًا منكرًا، لم تنطق بكلمة واحدة، بل أشارت إلى المولود، {... **قَالُواْ يٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًا * (27) يٰأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًا * (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًا * (29)**} (مريم).

- فلو لم تكن قد تأكدت من أنّ المولود هو الذي كلمها فور الولادة، لما أشارت إليه، بل كانت أوحت إليهم كما فعل زكريا (عليه الصلاة والسلام)، بأن خاطب قومه بالإيحاء، {**قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِيۤ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًا * (10) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰۤ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًا (11)**} (مريم).

والمرة الثانية كانت لما جاءت به (عليها السلام) قومها، ولم يكن قد مضى على ميلاده سوى ساعات قليلة، فتكلم كلام الأنبياء إذ **{قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * (32) وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * (33)}** (مريم). وقد جاء كلامه هذا ليدفع عن والدته تلك التهم التي حاول اليهود أن يقذفوها بها بهتانًا عظيمًا. **{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا*}** (النساء 156).

فالتكلم في المهد كان إذًا، أول معجزة جاء بها عيسى المسيح (عليه السلام والسلام).

خلق الطير من الطين

أخبرنا القرآن الكريم عن هذه المعجزة في الآيتين: (49) من سورة آل عمران **{أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِيّ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ}** و(110) من سورة المائدة **{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي}**.

في اللغة، «خلق الشيء، أوجده وأبدعه على غير مثال سبق.» (محيط المحيط للبستاني). وكذلك في (لسان العرب) «الخَلْقُ في كلام العرب: ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إليه».

جاء في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»[1] في تفسير الآية (49) من سورة آل عمران:

«أخرج ابن جرير عن ابن إسحق أن عيسى جلس يوما مع غلمان من الكتاب، فأخذ طينا ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائرا؟ قالوا: أو تستطيع ذلك؟ قال: نعم. بإذن ربي. ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال: كن طائرا بإذن الله فخرج يطير من بين كفيه، وخرج الغلمان بذلك من أمره، فذكروه لمعلمهم، فأفشوه في الناس .

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج. أن عيسى قال: أي الطير أشد خلقا؟ قال: الخفاش إنما هو لحم ففعل.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: إنما خلق عيسى طيرا واحدا. وهو الخفاش.»

ومهما قال المفسرون عن كيفية خلق ذلك الطير أو عن نوعه فما يهمنا هنا هو أن القرآن الكريم أثبت أن المسيح (**عليه السلام والسلام**)، قد خلق من الطين كهيئة طير ثم نفخ فيه فكان طيرًا بإذن الله عز وجل.

شفاء الأكمه

في اللغة: «الأكْمَه ذو الكَمَه، والكمه، العمى يولد به الإنسان» (محيط المحيط للفيرزابادي - باب كمه). وقد ذكر القرآن الكريم هذه المعجزة في الآيتين (49) من سورة آل عمران: **{وَأُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِـي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ**

1 عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن همام الخضيري السيوطي، جلال الدين.

ٱللَّهِ} و(110) من سورة المائدة: **{وَتُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوتَىٰ بِإِذْنِي}**،

ويقول الطبري في تفسيره للآية (49) من سورة آل عمران:

«واختلف أهل التأويل في معنى الأكمه، فقال بعضهم: هو الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار... وقال آخرون: هو الأعمى الذي ولدته أمه كذلك... وقال آخرون: بل هو الأعمى...»

إلى أن ينتهي به القول:

«هو الأعمى الذي لا يبصر شيئا لا ليلًا ولا نهارا، وهو بما قال قتادة: من أنه المولود كذلك أشبه، لأن علاج مثل ذلك لا يدّعيه أحد من البشر، إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى، وكذلك علاج الأبرص.»

وبصرف النظر عما إذا كان الأكمه هو من ولد أعمى أو من أصيب بالعمى بعد أن كان مبصرًا، فإن المسيح (**عليه الصلاة والسلام**)، بشفائه الأعمى، بإذنه تعالى، منذ ما يقارب الألفي سنة، يكون قد جاء بمعجزة عظيمة. إذ حتى يومنا هذا، وعلى رغم هذا التقدم العظيم الذي نشهده في حقول الطب عامة، وفي طب العيون خاصة، فلم يزل شفاء الأعمى من الصعوبة في مكان إذا لم نقل من المستحيلات إلا في حالات نادرة أو بالجراحة بزرع القرنية، إذا كانت هي السبب.

شفاء الأبرص

الأبرص هو من أصيب بالبرص. «والبرص، بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد المزاج ويغور ويعرف الأسود منه بالقوباء وهو من مقدمات الجذام. والجذام، علة ردية تنتشر في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء هيئتها. وتحدث عجزا في الوجه غالبًا ويتمرط شعر الأجفان وينتهي إلى تآكل الأعضاء وسقوطها من شدة التقرح. ويقال لهذه العلة داء الأسد لهجومها على صاحبها كما يهجم الأسد على الفريسة. وفي الحديث أهرب من المجذوم هربك من الأفعى.» (محيط المحيط باب برص وباب جذم).

ويقول الطبري بأن علاج الأبرص كعلاج الأعمى، «لا يدعيه أحد من البشر.»

وقد جاء ذكر هذه المعجزة في القرآن الكريم في الآيتين (49) من سورة آل عمران و(110) من سورة المائدة.

{وَأُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِـي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ} (آل عمران 49)،

{وَتُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوتَىٰ بِإِذْنِي} (آل عمران 110)،

يقول ابن كثير في تفسيره للآية رقم (49) المذكورة: «وأما عيسى عليه السلام، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد.»

ويضيف معظم المفسرين أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لم يقتصر إبراؤه على الأكمه والأبرص فقط بل هو أبرأ، بالدعاء إلى الله تعالى، كثيرًا من المرضى. ومنهم من قال إنه أحيانا كان يجتمع عليه «خمسون ألفًا». والله أعلم.

إحياء الموتى

وقد جاء ذكر هذه المعجزة في القرآن الكريم في الآيتين (49) من سورة آل عمران **{وَأُحْيِـي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ}** و(110) من سورة المائدة. **{وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوتَىٰ بِإِذْنِي}**.

يقول الطبري في تفسيره للآية (49) من سورة آل عمران: «وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله، يدعو لهم، فيستجيب له.»

وعلى رغم أن القرآن الكريم لا يشير إلى عدد أو شخصيات أولائك الموتى الذين أحياهم المسيح (عليه الصلاة والسلام) بمشيئته تعالى، فقد استرسل الألوسي في تفسيره هذه الآية قائلًا:

«قد أحيا عليه السلام أربعة أنفس، عازر، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقًا له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك عازر مات وكان بينه وبين عازر مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره فدعا الله تعالى عيسى فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره، وبقي زمانًا وولد له. وأما ابن العجوز فمر به ميتًا على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريره ونزل

عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي زمانًا وولد له، وأما ابنة العاشر[1] فكان أبوها رجلًا يأخذ العشور ماتت له بنت الأمس فدعا الله تعالى وأحياها وبقيت زمانًا وولدها. وأما سام بن نوح فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعى باسم الله تعالى الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفًا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال: أقد قامت الساعة؟ / قال: لا ولكن دعوتك باسم الله تعالى الأعظم ثم قال له: مت قال: بشرط أن يعيذني الله تعالى من سكرات الموت فدعا الله تعالى له ففعل، وفي بعض الآثار أن إحياءه سامًا كان بعد قولهم له عليه السلام إنك تحيى من كان قريب العهد من الموت ولعلهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح فأحياه وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقال للقوم: صدقوه فإني نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا: هذا سحر فأرنا آية فنبأهم بما يأكلون وما يدخرون، وقد ورد أيضًا أنه عليه السلام أحيا ابن ملك ليستخلفه في قصة طويلة، وأحيا خشفًا وشاة وبقرة؛ ولفظ {ٱلْمَوْتَىٰ} يعم كل ذلك.»

وفي رأيي ليس مهمًا لا العدد ولا الشخصيات، إنما هذه المعجزة في حد ذاتها، فالعلماء قاطبة يقرّون بأن إحياء الموتى هو مستحيل عليهم، على رغم كل ما توصلوا إليه من اكتشافات علمية وتطوير للأدوية ووسائل الجراحة في

---

1 العاشِرُ: هو من يجمع العُشُور، والعشور هو ما كانت الملوك تأخذه من أموال الرعية.

جميع حقول الطب. وبالتالي فإحياء الموتى يبقى معجزة الدهور إذ هو مما يعود لمشيئة الله تعالى وقدرته وحده. ولولا إرادته عزّ وجل، لما عاد إلى الحياة، على يد المسيح (عليه الصلاة والسلام) أي من أولئك الموتى.

التنبؤ بالأكل والادخار

{وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (آل عمران 49).

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «فإن قال قائل: وما كان في قوله لهم: **{وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ}** [آل عمران:49] من الحجة له على صدقه، وقد رأينا المتنجمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيرا فتصيب؟ قيل: إن المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه، ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه، ومن سائر أنبياء الله ورسله، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باحتيال، ولكن ابتداءً باعلام الله إياه من غير أصل تقدّم ذلك؛ احتذاه، أو بنى عليه أو فزع إليه، كما يفزع المتنجم إلى حسابه، والمتكهن إلى رئيّه، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها، وبين علم سائر المتكذبة على الله، أو المدّعية علم ذلك.»

وفي ذلك يقول ابن كثير: «أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر في بيته لغد،»

أما الثعالبي فيقول: «كان عيسَىٰ ـ عليه السلام ـ مِنْ لَدُنْ طفوليَّته، وهو في الكُتَّابِ، يخبرُ الصِّبْيان بما يفعل آباؤهم في منازِلِهِمْ، وبما يُؤْكَلُ من الطعامِ، ويُدَّخَرُ، وكذلك إلَىٰ أنْ نُبِّئى، فكان يقول لكلِّ من سأله عن هذا المعنَىٰ: أَكَلْتَ البارحةَ كَذَا، وٱدَّخَرْتَ كذا،»

فهذه المعجزة، على رغم أهميتها، تبقى هينة بالقياس على ما جاء به المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من خلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، بإذن الله العلي القدير.

المائدة

إن السورة رقم (5) من سور القرآن الكريم سميت «المائدة» لأن قصة هذه المعجزة وردت في الآيات التاليات منها:

{إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ[1] يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ* (112) قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنْكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ* (114) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ* (115)}.

---

[1] أصحاب عيسى (عليه الصلاة والسلام).

تقول هذ الآيات إن الحواريين سألوا المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إذا كان الله تعالى يستطيع أن ينزل عليهم من السماء مائدة. فقال لهم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، لأن المؤمن لا يشكك في قدرات ربه. فأجابوه بأنهم يريدون أن يأكلوا منها ليتأكدوا من صدقه. عند ذلك طلب من الله عز وجل، أن ينزل عليهم مائدة تكون عيدًا لأولهم وآخرهم وآيةً منه تعالى. فأجابه تعالى على طلبه متوعدًا بالعذاب الشديد كل من يكفر منهم بعد ذلك. وفي ذلك يقول الثعالبي في تفسيره:

«ثم شَرَطَ عليهم سبحانه شرْطَهُ المتعارَفَ في الأمم؛ أنه مَنْ كَفَر بعد آية الأقتراحِ، عُذِّب أشدَّ عذابٍ، والجمهور أنَّ المائدة نزلَتْ كما أخبر اللَّه سبحانه، واختلفوا في كيفيَّة ذلك، فقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: نزلَتِ المائدةُ خُبْزًا وسَمَكًا، وقال عطية: المائدةُ سمكَةٌ فيها طَعْمُ كُلِّ طعامٍ، وقال ابنُ عبَّاس: نزل خُوَانٌ عليه خُبْزٍ وسَمَكٌ يأكلون منه أينما نَزَلُوا، إذا شاءوا، وقال عمَّار بن ياسر: سألوا عيسَىٰ مائدةً يكون عليها طعامٌ لا ينفَدُ، فقيل لهم: إنها مقيمةٌ لكم ما لم تُخَبِّئُوا، أو تخونُوا، فإن فعلتم، عُذِّبتم،...»

الفصل السادس

ما خص الله تعالى به المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من دون سائر الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام)

نستنتج من آيات القرآن الكريم أن الله تعالى قد خصّ رسوله ونبيّه المسيح عيسى ابن مريم (عليه الصلاة والسلام)، بأمور وصفات، لم يخض بها سائر الأنبياء والرسل (عليه الصلاة والسلام). فالمسيح (عليه الصلاة والسلام)، وحده ولد من أم عذراء ومن دون أب وفي مدة وجيزة جدًا، ووحده ولد نبيًا، ووحده تكلم في المهد، ووحده كلمة الله تعالى وروح ورحمة منه، ووحده عصمه الله من الوقوع في خطأ أنّبه الله عليه أو أمره بطلب المغفرة، ووحده طهره، وأيده بروح القدس، وجعله آية للعالمين.

في ميلاده

رأينا في الفصل الثاني من هذا الكتاب، كيف خلق الله تعالى، المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من أم عذراء ومن دون أب، وكيف حملته أمه مريم (عليه الصلاة والسلام)، بالنفخ من روحه علت قدرته، وولدته في وقت قصير جدًا قد لا يتعدى اليومين. وهذا الأمر لم نقرأ أو نسمع بمثله عن أي نبي أو رسول أو إنسان آخر، لا في القرآن الكريم ولا في أي كتاب آخر.

ورب قائل: إنّ في عمليات الاستنساخ، التي توصل إليها العلماء في عصرنا الحالي، ما قد يشبه عملية تكوين الجنين في رحم أمه من غير أب. هنا نسأل: كيف تتم عملية الاستنساخ؟ إن مبدأ تلك العملية هو في أخذ جزء من الحمض النووي من خلية من جسد حيوان أو إنسان ثم يزرع في بويضة غير مخصبة، في جسد أنثى حيث تبقى المدة الطبيعية لاكتمال الجنين وحتى موعد الولادة الطبيعي حسب النوع. فهذه العملية إذًا تتم باتحاد الحمض النووي المسحوب من خلية ببويضة والاثنان مأخوذان من جسدين مخلوقين أصلًا حسب قوانين الخلق. وهي بالتالي من نتائج اكتشاف العلماء لأسرار الخلق وقوانينه التي وضعها الله عز وجل. وليست بالتالي عملية خلقٍ بما في الكلمة من معنًى.

وحدَه ولد نبيا

المقصود هنا أن الله تعالى، بعث المسيح (عليه الصلاة والسلام)، نبيًا منذ اللحظة الأولى لميلاده، بينما لم نقرأ في القرآن الكريم أن هذا حصل لأي نبي أو رسول غيره. فلو عدنا إلى الفصل الخامس من هذا الكتاب، لرأينا أن الكلام الذي نطق به المسيح (عليه الصلاة والسلام)، فور ميلاده، كان كلام أنبياء. ففي سورة مريم نقرأ كلامه (عليه الصلاة والسلام)، لأمه مريم (عليها السلام)، فور ميلاده، مهدئًا روعها: **{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * (24) وَهُزِّيۤ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * (25) فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيۤ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا* (26)}**. كما

نقرأ كلامه لتبرئة أمه (عليها السلام)، أمام قومها، بقوله لهم: **{قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * (32) وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * (33)}** (سورة مريم). وفي هذين القولين يظهر واضحًا أنه كلام أوحاه الله تعالى إليه كي يطمئن قلب أمّه مريم (عليها السلام)، ويبلغها أمره عز وجل، لها (عليها السلام)، بالصوم؛ وليدفع عنها أيضًا، تهمة ارتكاب الفاحشة، مختتمًا كلامه بأن الله تعالى، جعله نبيًا، إذ قال: **{وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31)}**. ألا يكفي هذا أن يكون من علامات النبوة؟

وحدَه كلّم الناس في المهد

رأينا في الفصل الخامس أن القرآن الكريم يخبرنا كيف تكلم المسيحُ (عليه الصلاة والسلام)، وكان لم يزل حديث الولادة، بل فور ولادته من بطن أمه مريم (عليها السلام)، حتى نطق بكلام، على مسامعها أولًا، هدأ به روعها، ثم على مسامع قومها، ثانية، لتبرئتها.

هذا ولا نجد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن أي نبي أو رسول، قد كلم الناس وهو لم يزل في المهد، أي لم يكن بعد قد مضى على مولده ساعات معدودات. وهذا مما خصّ به الله تعالى، نبيه ورسوله الكريم عيسى المسيح (عليه الصلاة

والسلام)، من دون سائر الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، الذين ذكروا في القرآن الكريم.

كلمة الله

أوضحنا في الفصل الثالث، أن المقصود «بكلمة الله»، هو أن الله تعالى خلق المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بكلمة «كن» ألقاها إلى مريم (عليها السلام). وفي خلقه بكلمة «كن»، يشترك المسيح وآدم (عليه الصلاة والسلام)، حسب قوله تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ*}** (آل عمران 59). وفي الآية (171) من سورة النساء يقول تعالى: **{إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ}**. فهذه الآية تقول: «كَلِمَتُهُ»، بينما تقول الآية (45) من سورة آل عمران: «بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ». أفلا يجوز أن يكون القصد من وراء اعتماد عبارة: «كَلِمَتُهُ»، بدلًا من: «كَلِمَةٍ مِّنْهُ» هو تخصيص المسيح (عليه الصلاة والسلام) بأنه وحده «كلمة الله»؟ خاصة وأننا لا نجد في القرآن الكريم مثل هذا الوصف يطلق على أي من باقي الأنبياء والرسل بمن فيهم آدم (عليه الصلاة والسلام).

روح من الله

وفي الفصل الثالث رأينا أيضًا أن القرآن الكريم يطلق على المسيح (عليه الصلاة والسلام) صفة: «روح من الله» كما أوردنا ما قاله المفسرون عن المقصود بهذه الصفة. وكما اشترك المسيح وآدم (عليهما الصلاة والسلام)، في كونهما خلقا بكلمة «كُنْ» كذلك اشتركا في أن عملية خلقهما تمت بالنفخ من

روح الله العلي القدير. أما باقي الأنبياء والرسل الذين ذكرهم القرآن الكريم فلم يطلق على أحد منهم هذه الصفة حتى على آدم (عليه الصلاة والسلام)، **{إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ}** (النساء 171)، وبالتالي يبقى المسيح (عليه الصلاة والسلام) وحده الذي خصه الله تعالى بصفة «روح من الله».

عصمته

قلنا سابقًا: إن الله تعالى عصم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بمعنيين للعصمة، إذ حماه ووقاه من مكر اليهود الذين أرادوا به السوء، ومكنه من اجتناب المعاصي. أما العصمة المقصودة هنا فهي بمعنى: «ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها» (راجع محيط المحيط للبستاني). وقد رأينا أن القرآن الكريم لم يشر في أي من آياته إلى أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد اقترف خطيئة واحدة في حياته أو حتى أنه طلب من الله تعالى أمرًا جرَّ عليه توبيخًا أو ملامة منه جل جلاله. كما لم تقرأ آية واحدة يأمر الله تعالى فيها المسيح (عليه الصلاة والسلام) بطلب المغفرة.

نحن نعلم أن القرآن الكريم قد ذكر من الأنبياء والرسل خمسًا وعشرين، أولهم آدم (عليه الصلاة والسلام)، وآخرهم محمد ﷺ، من أولائك الأنبياء والرسل من حدثتنا الآيات عن حياتهم وتعاليمهم بشيء من الإطناب، ومنهم من اقتصرت على ذكر الجزء اليسير من حياتهم أو تعاليمهم، ومنهم من اكتفت بذكر أسمائهم.

ولو استعرضنا باختصار، تلك الآيات التي تحدثت ببعض التوسع عن بعض الأنبياء، لرأينا أن كلًا من هؤلاء قد طلب الغفران أو التوبة إلى الله أو أنه تعالى قد أمره بطلب الغفران. ولا يستغفر ربه أو يتوب أليه تعالى، إلا من كان قد ارتكب خطيئة أو معصية.

فآدم (عليه الصلاة والسلام)، أول خلق الله عز وجل، قال له تعالى: **{وَقُلْنَا يَاآدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ}**. (البقرة 35) فعصى ربه لما وسوس له الشيطان: **{فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ}**. (البقرة 36). فألهمه تعالى، كلمات دعا بها فتاب عليه: **{فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}**. (البقرة 37) **{قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ}**. (الأعراف 23).

ونوح (عليه الصلاة والسلام)، لما ركب الفلك هو ومن معه، نادى ابنه ليركب معهم فلم يستجب الابن لنداء أبيه، وكان الطوفان قد بدأ، نادى نوح (عليه الصلاة والسلام)، ربه لينجي ابنه، فأنّبه تعالى: **{وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِـي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ}**. (هود 46)

فطلب الغفران من الله عز وجل في الآيتين: **{قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيَ أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ}**. (هود 47). و**{رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا}**. (نوح 28).

وإبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، سأل ربه أن يتوب عليه وعلى ابنه إسماعيل (عليهم الصلاة والسلام): **{رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}**. (البقرة 128). كما طلب الغفران منه تعالى **{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ}**. (إبراهيم 41). ومنهم من يقول إنّ إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، لم يقل الصدق لمّا سأله قومه عمن حطم الأصنام التي كانوا يعبدونها، إذ قال إن كبير تلك الأصنام هو الذي فعل ذلك، بينما كان من حطمها فعلًا هو إبراهيم نفسه (عليه الصلاة والسلام)، وعلى رغم أن في ذلك كذبة بيضاء، كما يقولون، إلا أن الأنبياء لا يجوز أن تنطق إلا بالصدق مهما كانت الغاية. **{قَالُوۤاْ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يٰإِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ}** (63) (الأنبياء).

أما يعقوب (عليه الصلاة والسلام)، فقد كان يفضل ابنيه يوسف (عليه الصلاة والسلام)، وشقيقه على سائر أولاده: **{قَالَ يٰبُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**. (يوسف 5) **{إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ**

أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}. (يوسف 8)

ويوسف (عليه الصلاة والسلام)، لو لم يصرف عنه الله تعالى ذلك الشعور بالغريزة الجنسية لكان ارتكب الفاحشة مع امرأة عزيز مصر: {**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلآ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوۤءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ**}. (يوسف 24). وبالإضافة إلى أنه أخفى حقيقته عن إخوته، فقد لفق لشقيقه تهمة سرقة صواع الملك كي يبقيه عنده؛ وذلك مما لا يجوز أيضا، لنبي أن يفعله مهما كانت غايته في ذلك: {**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. (70) قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِمْ مَّاذَا تَفْقِدُونَ. (71) قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ. (72) قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. (73) قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ. (74) قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ**} (75). (يوسف).

وأيوب (عليه الصلاة والسلام)، قال عنه تعالى إنه تائب: {**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**}. (سورة ص 44) في اللغة كما في (محيط المحيط للبستاني): «الأواب التائب فإنه كان للأوابين غفورًا». ويقول الأمير أمين آل ناصر الدين في كتابه «دقائق العربية» (صفحة 51): «من يتب طاعة

لله لا خائفًا من عقاب ولا طامعًا في ثواب فهو صاحب أوبة، وفي الآية الكريمة (نعم العبد إنه أواب) يعني أيوب.»

ويونس (عليه الصلاة والسلام)، أعلن صراحة أنه كان من المخطئين: **{وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ}**. (الأنبياء 87). يقول الجلالان في تفسيرهما: «اذكر {ذَا ٱلنُّونِ} صاحب الحوت وهو يونس بن متّى. «وكلمة ظالم تأتي في القرآن الكريم بمعنى: الكافر أو المشرك أو المقصر في العمل أو العاصي أو ولي الكافر... وكل ذلك من المحرمات والنواهي حسب القرآن الكريم.

وشعيب (عليه الصلاة والسلام)، أعلن التوبة: **{إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ ٱلإِصْلاَحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيۤ إِلاَّ بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}**. (هود 88). يقول بطرس البستاني في محيط المحيط: «أناب إليه رجع مرة بعد مرة. وإلى الله تعالى أقبل وتاب.» ويقول الأمير أمين آل ناصر الدين في كتابه «دقائق العربية» (ص. 51): «من يتب طمعًا في الثواب فهو صاحب إنابة.»

وهذا موسى (عليه الصلاة والسلام)، يطلب الغفران منه تعالى، له ولأخيه هارون (عليهما الصلاة والسلام)، إذ **{قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ}**. (الأعراف 151). إضف إلى أنه كان قد قتل رجلًا، قبل بدء بعثته كما تخبرنا بذلك الآيتان التاليتان: **{وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ (أي موسى) عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ**

يَقْتَتِلاَنِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ. (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} (16). (القصص). وقد اعترف ((16))، صراحة بذلك كما تقول الآيتان: **{وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَاْ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ}** (20). (الشعراء).

وداود (عليه الصلاة والسلام)، يقول المفسرون إنه «كان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوّجها ودخل بها.» (كما في تفسير الجلالين للآية 21 من سورة ص) فبعث الله تعالى له ملكين بصورة خصمين يطلبان منه، أي من داود (عليه الصلاة والسلام)، الحكم بينهما في قضية النعاج (وفي النعاج استعارة عن النساء). فتنبه (عليه الصلاة والسلام)، لخطيئته واستغفر ربه وركع توبة: **{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ. (21) إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ. (22) إِنَّ هَـٰذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ. (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـآبٍ (25)}**. (من سورة ص).

وسليمان (عليه الصلاة والسلام)، أيضًا تاب إليه تعالى: **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥ أَوَّابٌ.}** (30 ص). وطلب الغفران: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ.** (34) **قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** (35)**}**. (من سورة ص).

أما النبي محمد ﷺ فقد أمره تعالى بطلب الغفران في بضع آيات:

- **{وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}**. (النساء 106)،
- **{وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ}**. (المؤمنون 118)،
- **{فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَارِ}** (غافر 55)،
- **{فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}** (محمد 19)،
- **{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ** (1) * **قُمْ فَأَنذِرْ** (2) * **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** (3) * **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** (4) * **وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ** (5) *}** (المدثر)،
- **{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَا}**. (النصر 3).

طهره ورفعه إليه

{إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (آل عمران 55). لم يذكر القرآن الكريم أن أيًا من الأنبياء والرسل قد طهره الله تعالى ورفعه إليه سوى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ويكرر القرآن ذلك في الآية (158) من سورة النساء: **{بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا*}**.

أيده بروح القدس

يخبرنا القرآن الكريم في الآيات الثلاث التاليات أن الله سبحانه وتعالى، أيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بروح القدس:

- **{وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ}** (البقرة 87)،
- **{وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ}** (البقرة 253)،
- **{قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ...}** (المائدة 110).

وهذا التأييد هو مما خص تعالى به المسيح وحده (عليه الصلاة والسلام)، وهو ما يوضحه الألوسي في تفسيره للآية (87) من سورة البقرة: «وخص عيسى عليه السلام بذكر التأييد بروح القدس لأنه تعالى خصه به من وقت صباه إلى حال كبره، كما قال تعالى: **{إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا}** (المائدة: 110) ... وقيل: ـ الروح ـ هنا اسم

الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي به الموتى... وقيل: روح عيسى عليه السلام نفسه، ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان، أو لكرامته عليه تعالى...»

وقال بعضهم: روح القدس الذي أخبر الله تعالى ذكره أنه أيد عيسى به هو جبريل عليه السلام. (راجع تفسير الطبري والقرطبي والألوسي للآية 87 المذكورة).

وحده آية للناس

في الفصل الرابع من هذا الكتاب رأينا المعنى المقصود لصفة «الآية» التي وصف بها القرآنُ عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، «بانها علامة على قدرة الله عز وجل». كما رأينا أن الله تعالى أراد أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، آية للناس وقد كرر القرآن الكريم ذلك في ثلاث آيات نذكر منها: **{وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا}** (مريم 21). ولو عدنا إلى آيات القرآن الكريم التي حدثتنا عن سِيَر باقي الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، بمن فيهم محمد ﷺ، لما وجدنا آية واحدة تصف أيًا منهم بأنه كان «آية». وعليه يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وحده قد وصفه القرآن الكريم «بالآية» من دون سائر إخوانه الأنبياء والرسل (عليه ماالصلاة والسلام).

الفصل السابع

ما نفاه القرآن عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)

نفي ألوهية المسيح (عليه الصلاة والسلام)

لقد قال بعض الغلاة إن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله عز وجل. وهذا ما ينفيه القرآن الكريم نفيًا قاطعًا. فقد رأينا سابقا، في الفصل الثاني، كيف ولد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من أمه مريم (عليها السلام)، وهذا ما لم ينفِه، بل لم يشكك به أحد. فالمسيح (عليه الصلاة والسلام)، إذًا مولود وهو بالتالي مخلوق لأن كل مولود مخلوق. والمخلوق لا يَخلُق، والله عز وجل، هو خالق كل شيء فلا يعقل إذًا أن يكون في الوقت عينه خالقًا ومخلوقًا. ولو عدنا إلى سورة الإخلاص رقم (112) لقرأنا قوله تعالى عن نفسه: إنه **{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * (3)}** فلا يمكن أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله عز وجل، لأنه مولود والله تعالى، لم يولد. ولمن قال إن الله خلقه من أم ومن دون أب، بالنفخ فيها من روحه، نقول إنه قد خلق قبله آدم (عليه الصلاة والسلام)، من التراب بالنفخ فيه أيضًا من روحه، أي من دون أب أو أم، **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ *(29)}** (من سورة الحجر)، فلو كان في ذلك ألوهية لكان الأولى أن يكون آدم (عليه الصلاة والسلام)، إلها قبل المسيح (عليه الصلاة والسلام).

وعلى من قال: إذا كان الله تعالى على كل شيء قديرًا وفعالا لما يريد، أفلا يمكنه أن يتجسد بالمسيح (عليه الصلاة والسلام)؟ نجيب بأن الله تعالى، يقول عن نفسه، في الآية (103) من سورة الأنعام، بأنه لا تدركه الأبصار، **{لاَّ تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ}** فهل يمكن أن يناقض تعالى نفسه بأن يتجسد وبالتالي يجعل الأبصارتدركه؟ أضف إلى ذلك أنه عندما سأل موسى (عليه الصلاة والسلام)، ربه أن يدعه يراه قال له الله تعالى: «لَن تَرَانِي»، بالنفي القاطع، وقد كان ذلك عندما كلمه تعالى ليبلّغه البدء برسالته، **{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ*}** (الأعراف 143) فإذا كان تعالى لم يسمح لنبيه ورسوله وكليمه موسى (عليه الصلاة والسلام)، أن يراه ولو لمرة واحدة، فكيف يسمح لسائر الناس بأ ن يروه تكرارًا في بضع سنين؟

ثم إنه تعالى يحسم لنا هذا الأمر وينفي بالكلام القاطع والواضح والصريح أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله، بل هو يصف بالكافر كل من قال إن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله. **{لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَآلُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعًا وَللَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ**

وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*} (المائدة 17).

أضف إلى ذلك بأن الله تعالى يؤكد لنا، وفي تسع من آيات القرآن الكريم، بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو عبد الله ورسوله (أرجو من القاريء الكريم أن يعود إلى الفصل الثالث من هذا الكتاب فقرة «عبد الله»). وفي الآيات الثلاث التاليات، التي يخاطب فيها نبيه محمدا ﷺ، يؤكد تعالى أن الرسل الذين بعثهم قبله كانوا كلهم رجالًا، وبالتالي لم يكن بينهم إله أو حتى ملاك، إذ يقول: **{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِيۤ إِلَيْهِمْ...}** (يوسف 109) و(النحل 43) و (لأنبياء 7). وكلنا يعلم أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد بعث قبل محمد ﷺ، وهذا بالتالي تأكيد من القرآن الكريم بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إنسان، كباقي الأنبياء والرسل.

والآية (75) من سورة المائدة تؤكد، ليس فقط بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، رسول كغيره من رسله تعالى، إنما أيضًا بأنه وأمه مريم (عليها السلام)، كانا كغيرهما من البشر يأكلان الطعام فلو كانا إلهين لما احتاجا إلى الطعام والشراب، كما يحتاج البشر، لاستمرار حياتهما: **{مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلآيَاتِ ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ* 75}**.

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «وقوله: كانَا يَأكُلانِ الطَّعامَ خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من

المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم. فإنّ من كان كذلك، فغير كائن إلهًا لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلاَّ مربوبا لا ربًّا.»

ثم تؤكد الآيتان (116 و117) من سورة المائدة، أن المسيح نفسه (عليه الصلاة والسلام)، ينفي نفيًا قاطعًا أن يكون قد ادعى الألوهية سواء لنفسه أو لأمه: **{وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ *(116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ* (117)}**

وتأتي الآية (31) من سورة التوبة لتزيد في أنّ واجب العبادة على الناس يقضي بعبادة الله الواحد حصرًا، الذي لا إله إلا هو، وأن اتخاذ الأحبار والرهبان والمسيح (عليه الصلاة والسلام)، أربابا هو من الشِرك: **{ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَـٰرَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَـٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ *}** (التوبة 31). والشِرك هنا هو في أن تجعل لله تعالى، شريكا أو شركاء له تعبدها معه. والشرك ينهى عنه القرآن الكريم ويساويه بالكفر، فالمُشرك والكافر صنوان.

نفي ألوهية مريم (عليها السلام)

بالإضافة إلى ما جاء في الفقرة السابقة عما قالته الآية (75) من سورة المائدة في نفي الألوهية عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وعن أمه مريم (عليها السلام)، يقول الألوسي في تفسيره للآية (116) من سورة المائدة: {**وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ**}: «واستشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحدًا من النصارى اتخذ مريم عليها السلام إلهًا. وأجيب عنه بأجوبة. الأول: أنهم لما جعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام إلهًا لزمهم أن يجعلوا والدته أيضًا كذلك لأن الولد من جنس من يلده فذكر {إلهين} على طريق الإلزام لهم. والثاني: أنهم لما عظموها تعظيم الإله أطلق عليها اسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأحبار والرهبان في قوله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله} (التوبة 31) لما أنهم عظموهم تعظيم الرب... والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: المريمية يعتقدون في مريم أنها إله. وهذا كما كان في اليهود قوم يعتقدون أن عزيرًا ابن الله عز اسمه وهو أولى الأوجه عندي.»

نفي التثنية والتثليث

لقد أخبرنا القرآن الكريم أن جميع الأنبياء والمرسلين الذين بُعثوا قبل النبي محمد ﷺ، قد دعَوا إلى وحدانية الله عز وجل. وقد قلنا سابقًا إن التعاليم التي جاء بها أولئك الأنبياء والرسل لم تكن تدون في الأوقات التي أنزلت فيها، بل كانت تنتقل شفهيًا من الآباء إلى الأبناء. أما ما دُوِّنَ من تلك التعاليم فقد حصل تدوينه في أوقات بعيدة عن أوقات البعثات. هذا الأمر جعل تلك التعاليم تتعرض، سواء عن قصد أم عن غير قصد، للتحريف أو التغيير أو التبديل حتى في الجوهر، كما جعل بعضًا من أتباعها يذهب بعيدًا عمّا قالت به تلك التعاليم. ولم يكن حظ التعاليم التي جاء بها المسيح (عليه الصلاة والسلام)، يختلف عن حظوظ سابقاتها ليس فقط فيما ذهب إليه بعضهم من أن الله تعالى هو المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بل ذهب بعضهم إلى القول بوجود إلهين، من دون الله، هما المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وأمه مريم (عليها السلام)، ومنهم المريميون (يرجى مراجعة الفقرة السابقة «نفي ألوهية مريم»). كما ذهب بعضهم الآخر إلى القول بثلاثة آلهة هم الله عز وجل، والمسيح (عليه الصلاة والسلام)، وأمه مريم (عليها السلام)، ومنهم النسطورية والملكانية.

إن القرآن الكريم لا ينفي فقط، كما رأينا آنفًا، أن يكون كل من المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ومريم (عليها السلام)، إلها، بل ينهى بالمطلق عن الاعتقاد بوجود إلهين اثنين، **{وَقَالَ ٱللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ}** *

(النحل 51). كما ينفي وينهى أيضًا عن القول بثلاثة آلهة ويكرر ذلك في غير آية:

- **{يٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ وما فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا*} (171) لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا للَّهِ وَلاَ ٱلْمَلآئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا* (172)}** (النساء).

- **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* (73) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* (74) مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيّنُ لَهُمُ ٱلآيَاتِ ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ* (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلاَ نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * (76) قُلْ يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقّ وَلاَ تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ* (77)}** (المائدة).

ويقول الألوسي في تفسيره للآية (171) من سورة النساء، الآنفة الذكر: «وتحقيق الكلام في هذا المقام على ما ذكره بعض المحققين أن النصارى اتفقوا على أن الله تعالى جوهر بمعنى قائم بنفسه غير متحيز ولا مختص بجهة ولا مقدر بقدر ولا يقبل الحوادث بذاته ولا يتصور عليه الحدوث والعدم، وأنه واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية، والأقانيم صفات للجوهر القديم، وهي الوجود والعلم والحياة، وعبروا عن الوجود بالأب والحياة بروح القدس والعلم بالكلمة. ثم اختلفوا فذهب الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها إلى أن الأقانيم غير الجوهر القديم، وأن كل واحد منها إله، وصرحوا بإثبات التثليث، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة سبحانه وتعالى عما يشركون، وإن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته وامتزجت به امتزاج الماء بالخمر وانقلبت الكثرة وحدة وإن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي، وإن مريم ولدت إلهًا أزليًا مع اختلافهم في مريم أنها إنسان كلي أو جزئي، واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معًا، وأطلقوا لفظ الأب على الله تعالى، والابن على عيسى عليه السلام.

ومن النسطورية من قال: إن كل واحد من الأقانيم الثلاثة حي ناطق موجود، وصرحوا بالتثليث كالملكانية، ومنهم من منع ذلك، ومنهم من أثبت صفات أخر كالقدرة والإرادة ونحوها لكن لم يجعلوها أقانيم، وزعموا أن الابن لم يزل متولدًا من الأب وإنما تجسده وتوحده بجسد المسيح

حين ولد، والحدوث راجع إلى الناسوت، فالمسيح إله تام وإنسان تام، وهما قديم وحادث، والاتحاد غير مبطل لقدم القديم ولا لحدوث الحادث، وقالوا: إن الصلب ورد على الناسوت دون اللاهوت.

وذهب بعض اليعقوبية إلى أن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا فصار الإله هو المسيح، وقالوا: إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم، ورووا عن يوحنا الإنجيلي أنه قال في صدر «إنجيله»: إن الكلمة صارت جسدًا وحلت فينا، وقال: في البدء كانت الكلمة والكلمة عند الله والله تعالى هو الكلمة...»

ويقول أحمد أمين في كتابه «فجر الإسلام» (ص 125): «فتح المسلمون البلاد وهي مملوءة بالنصارى في مصر وبلاد المغرب والأندلس والشام، وكانت النصرانية عند الفتح منقسمة إلى جملة طوائف، أشهرها في الشرق ثلاثة: اليعاقبة. وكانت منتشرة في مصر والنوبة والحبشة. والنساطرة: وكانت منتشرة في الموصل والعراق وفارس. والملكانية. وكانت منتشرة في بلاد المغرب وصقلية والأندلس والشام».

إن القرآن الكريم يورد في آيات عديدة، وحدانية الله سبحانه وتعالى، وسنكتفي بما تقوله الآية الأولى من سورة الإخلاص: **{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ*}** التي نفهم منها، أن الله تعالى، واحد في ذاته منزه عن أي نوع من العددية أو التعددية، «فالواحد» يمكن أن يقبل التجزئة بحيث يمكن أن يكون الواحد نصفين أو ثلاثة أثلاث ألخ...، أما «الأحد» فلا يقبل لا التقسيم ولا التجزئة. وفي لسان العرب (باب أَحد): «في

أَسماءِ الله تعالـى: الأَحد وهو الفرد الذي لـم يزل وحده. ولـم يكن معه آخر، وهو اسم بُنِـيَ لنفـي ما يذكر معه من العدد،»

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه «صفوة التفاسير»: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين: إن ربي الذي أعبده، والذي أدعوكم لعبادته هو واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه ولا نظير له، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو جل وعلا واحد أحد... واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معانٍ: الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد، والثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له، كما تقول: فلان واحد في عصره أي لا نظير له، والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض.1 »

نفي كون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ابن الله عز وجل

في القرآن الكريم عدة آيات تنفي، بالمطلق، أن يكون الله عز وجل قد اتخذ له ولدًا ومن تلك الآيات:

- **{وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ* (116) بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * (117)}** (البقرة)،
- **{وَجَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ***

1 لا يتبعض: لا يجزأ.

(100) بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* (101)} (الأنعام)،

- **{مَا كَانَ للَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (35)}** (مريم)،
- **{وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا * (88) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * (89) تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * (90) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * (92) إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلاَّ آتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا * (93)}** (مريم)،
- **{وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا * (3)}** (الجن)،
- **{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * (3)}** (الإخلاص).

أما في القول إن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ابن الله، عز وجل، ففي الآيات التاليات ينفي القرآن الكريم ذلك وينهى عنه وعن كل مغالاة في الدين:

- **{يٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ وما فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا* (171) لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا للَّهِ وَلاَ**

ٱلْمَلاَئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا* (172)} (النساء)،

- **{قُلْ يَـأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقّ وَلاَ تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ*** (77)} (المائدة)،
- **{وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ*** (30) **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَـٰرَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَـٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ***(31)} (التوبة)

نفي صلب وقتل المسيح (عليه الصلاة والسلام)

كما ينفي القرآن الكريم، أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد صُلب أو قُتل:

- **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا*** (157) **بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا*** (158)} (سورة النساء رقم 4).

يقول «الطبري» في تفسير هاتين الآيتين: «واختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شُبِّه لليهود في أمر عيسى، فقال بعضهم: لما أحاطت اليهود به وبأصحابه، أحاطوا بهم، وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه، وذلك أنهم جميعا حُوّلوا في صورة عيسى، فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى، عيسى من غيره منهم، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى، فقتلوه وهم يحسبونه عيسى... أما قوله جلّ ثناؤه: بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فإنه يعني: بل رفع الله المسيح إليه، يقول: لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكن الله رفعه إليه، فطهره من الذين كفروا.

أما «الجلالان» فيقولان في ذلك: «{وَقَوْلِهِمْ} مفتخرين {إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ} في زعمهم أي بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذيبا لهم {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ} المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه {وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ} أي في عيسى {لَفِى شَكّ مِّنْهُ} من قتله، حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به، وقال آخرون: بل هو هو {مَا لَهُمْ بِهِ} بقتله {مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنّ} استثناء منقطع: أي لكن يتبعون فيه الظنّ الذي تخيّلوه {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} حال مؤكدة لنفي القتل»

ويقول كل من البيضاوي والصابوني في تفسيريهما لعبارة: {... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ...} ما يشابه قول الطبري والجلالين لجهة أن الله تعالى حول صورة شخص آخر وجعله شبيها للمسيح (عليه الصلاة والسلام)،

فقام اليهود بصلب وقتل ذلك الشبيه المسيح (عليه الصلاة والسلام). ولكن مهما كان المقصود بقوله {شُبِّهَ لَهُمْ} أهو الشخص الذي قتلوه وصلبوه، أم هو حصول القتل والصلب على المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بدليل قوله: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}؛ فيبقى أن القرآن الكريم ينفي القتل والصلب نفيًا قاطعًا وجازمًا بقوله: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا* (157) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا* (158)} (سورة النساء رقم 4).

ثم لو عدنا إلى قوله تعالى: **{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا*}** (النساء 157)، أفلا يجوز أن يكون قد شبّه لهم أنهم قتلوه؟

أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم يخبرنا في الآيات الثلاث التاليات أن الله سبحانه وتعالى، أيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بروح القدس:

- **{وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ}** (البقرة 87)،
- **{وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ}** (البقرة 253)،
- **{قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ}** (المائدة 110).

يقول الألوسي في تفسيره للآية (87) من سورة البقرة المذكورة آنفًا: «وخص عيسى عليه السلام بذكر التأييد بروح القدس لأنه تعالى خصه به من وقت صباه إلى حال

كبره، كما قال تعالى: {إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا} (المائدة: 110) ولأنه حفظه حتى لم يدن منه الشيطان، ولأنه بالغ إثنا عشر ألف يهودي لقتله، فدخل عيسى بيتًا فرفعه عليه السلام مكانًا عليًا. وقيل: ـ الروح ـ هنا اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي به الموتى... وقيل: روح عيسى عليه السلام نفسه، ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان، أو لكرامته عليه تعالى...»

فالروح القدس الذي حمى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وحفظه، منذ لحظة ميلاده كما رأينا سابقًا، من مسّ ومكر الشيطان على رغم ما لهذا الأخير من قدرات، ألا يمكنه حمايته من مكر اليهود وأذاهم أيضًا؟

الفصل الثامن

تعاليم المسيح (عليه الصلاة والسلام)

إن القرآن الكريم نزّله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ، فليس بالضرورة أن يحتوي على جميع التعاليم التي نزّلها تعالى، على سائر الأنبياء والرسل. وكل ما أخبرنا به القرآن الكريم من التعاليم التي جاء بها رسول الله تعالى، عيسى ابن مريم (عليه الصلاة والسلام) فقد انحصر في دعوته إلى ما يلي:

وحدانية الله وعبادته

لم يختلف عن سائر إخوانه من الأنبياء والرسل، فقد دعا المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إلى عبادة الله وحده لا شريك له يُعبد معه. وهذا ما بينه في الآيات التاليات:

- **{إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*}** (عمران 51)،
- **{وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَابَنِيۤ إِسْرَٰءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ*}** (المائدة 72)،
- **{ومَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ*}** (المائدة 117)،

- {ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ *} (التوبة 31)،
- {قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا*} (30) (مريم 30)،
- {إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ *} (الزخرف 64).

التصديق بالتوراة

وبما أن الله تعالى هو الذي بعث الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، تترى إلى عباده، وهو وحده مصدر الوحي لهم جميعًا، فكان من الطبيعي أن يصدّق كل منهم بما أنزل على من قبله. وكما صدّق النبي محمد ﷺ، بالتوراة والإنجيل اللذين نزّلا على التوالي من قبل على موسى وعيسى (عليهما الصلاة والسلام)، فيخبرنا القرآن الكريم في الآيات التاليات، أن المسيح (عليه الصلاة والسلام) قد صدّق كذلك بالتوراة:

- {وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ *} (آل عمران 50)،
- {وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ *} (المائدة 46)،

- **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ}** (الصف 6).

الصلاة والزكاة

كما يحدثنا القرآن الكريم، في الآية التالية، أن الله تعالى أوصى نبيه الكريم، عيسى (عليه الصلاة والسلام) بالصلاة والزكاة:

- **{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا *}** (مريم 31)

تقوى الله

كما دعا المسيح (عليه الصلاة والسلام)، الناس إلى تقوى الله تعالى:

- **{وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ *}** (الزخرف 63).

وفي (لسان العرب): «تَوَقَّى واتَّقى بمعنى. وقد تَوَقَّيْتُ واتَّقَيْتُ الشيء وتَقَيْتُه أَتَّقِيه وأَتْقِيه تُقىً وتَقِيَّةً وتِقاء: حَذِرْتُه؛ الأَخيرة عن اللحياني، والاسم التَّقْوى». وفي التفاسير: «تقوى الله، في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن، لأن من اتقى الله كان به مؤمنا وبما أمره به عاملاً ومنه خائفا وله مراقبا، ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا.»

لا رهبانية

أما الرهبانية فيعلمنا القرآن الكريم أنّ الله تعالى، لم يكتبها على أتباع المسيح (عليه الصلاة والسلام). بل يقول إنهم هم الذين ابتدعوها {ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ} كما تقول الآية الكريمة:

- **{وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ*}** (الحديد 27)

لا تفريق في الدين

وكما أوصى سبحانه وتعالى جميع الأنبياء والرسل، فقد أوصى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، والذين آمنوا معه، بألا يجعلوا الدين سببًا للفرقى فيما بينهم:

- **{شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ *}** (الشورى 13).

بشر بمحمد ﷺ

وفي هذا تقول الآية الكريمة بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بشّر بني إسرائيل برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد»، وهذا الاسم هو من أسماء رسول الله محمد ﷺ:

- {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ} (الصف 6)

المراجع

كتب مطبوعة

القرآن الكريم

دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم - أسامة كامل أبو شقرا – الطبعة الأولى – 2001 بيروت

صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - الطبعة الأولى 1997 – دار الصابوني للطباعة والنشر - القاهرة

تفسير الجلالين الطبعة الأولى 1992 دارالإخاء دمشق

تفسير البيضاوي - الطبعة الأولى 2001 - دار صادر بيروت

قصص الأنبياء - ابن كثير - الطبعة السابعة 2002 - دار ابن كثير دمشق - بيروت

المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال - الإمام الغزالي - تحقيق جميل صليبا وكامل عواد - دار الأندلس للطباعة النشر بيروت

فجر الإسلام - أحمد أمين - الطبعة 15 - 1994 - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة

محيط المحيط - بطرس البستاني - طبعة 1987- مكتبة لبنان - بيروت

القاموس المحيط - الفيروزابادي - دار الجيل بيروت

الكشاف - للخوارزمي - انتشارات آفتاب تهران

كلمات القرآن الكريم تفسير وبيان - حسنين محمد مخلوف - دار إحياء التراث العربي

تفسير الكشاف محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوَارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم:

تفسير الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد

دقائق العربية أمين آل ناصر الدين - الطبعة الثالثة 1986- مكتبة لبنان – بيروت.

كتب من أقراص مدمجة

اصدار شركة العريس للكومبيوتر بيروت

تفسير ابن كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين.

تفسير الطبري - محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر

تفسير البيضاوي - عبد الله بن عمر بن محمد بن عليّ الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي.

تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي. وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن همام الخضيري السيوطي، جلال الدين.

تفسير زاد المسير أبو الفرج ابن الجوزي. وهو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج.

تفسير الألوسي محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء

لسان العرب ابن منظور محمد بن مُكرَّم بن عليّ بن أحمد بن حبقة الأنصاري الإفريقي